رد شبهات حول كلام شيخ الإسلام ابن تيمية

د. عبد الغفار بن محمد بن حميده*

سلم البحث في ١٤٤٢/٢/٤هـ بسم الله الرحمن الرحيم اعتمد للنشر في ١٤٤٢/٣/٦هـ

ملخص البحث:

انبرى بعض المنتسبين إلى العلم في ذكر شبهات استقاها من كتب ابن تيمية، قامت عنده بحسب فهمه دليلا على ميل ابن تيمية إلى بعض الفرق ذات النهج المخالف لمنهج أهل السنة والجماعة، وهذا البحث يستعرض هذه الشبهات شبهة شبهة، ويفندها، ويرد عليها بما يبرئ ساحة ابن تيمية من التهمه الذي رمي بها.

Abstract:

Some of those affiliated with the science set out to mention suspicions derived from Ibn Taymiyyah's books that, according to his understanding, were evidenced by Ibn Taymiyyah's inclination towards some groups with an approach that contradicts the approach of Ahl al-Sunnah wa al-Jamaa'ah, and this research reviews these suspicions of suspicions, refutes them, and responds to them in a way that excuses Ibn Taymiyyah Taymiyyah, who accused him of this, who threw him with this accusation.

المقدمة:

الحمد لله وكفى والصلاة والسلام على عباده الذين اصطفى أما بعد: قبل ما يزيد عن ثلاثة عقود كنت مشاركا فاعلا في بعض المنتديات على الشبكة العنكبوتية، وفي بحر عام ١٤٢٦هـ وقفت في أحد المنتديات[1] لمشاركات تسمى صاحبها بـ (النور)، ذكر فيها بعض مقاطع من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ نقلا عن كتبه، ظنا منه –وبعض الظن إثم– أنها مؤيدة للصوفية ومنهجها، وعلى ضوئها حكم هذا المجهول على ابن تيمية بأنه "صوفي ذائق، ومقدِّس للصوفية"، وقام بالتبكيت على الإخوة السلفيين المشاركين في منتدى الساحة، ومتحديا لهم دفع ما أورده عليهم، وبعد استعراض ما أورده هذا المجهول المتسمي بالنور، اتضح أن عنده مشاكل عويصة حدت به إلى هذه الشبه وهي:

أولا: مشكلة بتره للنصوص التي ينقلها من كتب شيخ الإسلام.

ثانيا: مشكلة عدم تدبره للسابق واللاحق من الكلام المستقطع، والظاهر استعجاله في النقل، وقديما قال الشاعر:

قد يدرك المتأني بعض حاجته وقد يكون مع المستعجل الزلل

---

* محاضر متعاون مع الجامعة الإسلامية بمنيسوتا، بأمريكا الشمالية.

ثالثا: مشكلة عدم الفهم، والتعالم.

رابعا: وأعظم من ذلك كله جعله بفهمه القاصر التصوف أصل والكتاب والسنة فرع.

وحيث إن من ناقشة من الإخوة المنتمين للسلف قلة، لكثرة ما أورده عليهم من شبه فظن بذلك أنه قد بَزَّهم وأسكتهم، ثم جُمدّت مشاركات هذا المجهول في موقع الساحة، فزاده هذا غرورا، حتى قال: "ومتى ما فُكّت القيود عن مُشاركاتي فلن أُبقي تكفيرياً في الساحة بإذن الله".

وهذا القول منه ذكرني بما دار بين الشاعرين الأمويين جرير والفرزق، حيث زعم الأخير أنه سيقتل مرْبعا، كما ذكرنيه أيضا موقع "الفرزدقي الصوفي"، الذي أثبت هذه المشاركات في الصفحة الأولى، لإثبات أن السلفيين ما استطاعوا دفع هذه الشبه، فقال جرير متهكما بالفرزدق:

زعم الفرزدق أن سيقتل مربعا أبشر بطول سلامة يا مربع

وقد وفقني الله عز وجل لجمع شُبهه ودراستها ومعرفة ما يريد إثباته تعالما وجهلا، فأثبتنا خلافه ديانة ونصيحة من كلام ابن تيمية نفسه، وقد أطلت النفس في بعض الردود لمقتضى الحال وتفنيد الشبهة على المخالف. وأيضا بينت بالبراهين العلمية والعقلية عدم صحة نسبة رسالة (النصيحة)، المنسوبة للحافظ الذهبي في حق شيخه الإمام ابن تيمية رحمهما الله.

فما كان فيه من صواب فالحمد لله على توفيقه، وما كان من سهو أو خطأ أو نسيان فمن نفسي والشيطان، وهذا جهد المقل. وصلى الله وسلم على خير خلقه ومصطفاه، وآله وصحبه ومن اقتفى أثره واتبع هداه.

الشبهة الأولى: الأولياء يدبرون العالم ويتصرفون فيه:

قال المخالف: "إن كانت الملائكة يقومون بنفع الخلق وتدبير العالم، فإن صالح البشر لهم مثل ذلك وأكثر منه". ثم قال: "عودة مع ابن تيمية والمقدّسين له. ابن تيمية الصوفي ذوقاً ومشرباً. استمتع بتأويل وتفسير ما أشكل من كلامهم. خَاض البَحر الذي وقف عنده المُقدِّسين للصُوفية. تكلّم في إشاراتهم وعِباراتهم .. مُريد شَيخ شَطحات مَقامات. "سُبحاني –ما في الجُبّة– انصب خيمتي على باب جهنّم"

كُل ذلك حقّقه وأجاد بكلام لم يسبق له مثيل. وعُذراً للإخوة الذين يرون خلاف ما أرى، فجميع مُشاركاتي فقط لتوضيح الرأي الآخر، ومتى ما فُكّت القيود عن مُشاركاتي فلن أُبقي تكفيرياً في الساحة بإذن الله".

ثم ساق المتعالم المتسمي بالنور من كلام شيخ الإسلام ما نصه: "إن علماء

الآدميين مع وجود المنافى والمضاد أحسن وأفضل، ثم هم في الحياة الدنيا وفى الآخرة يلهمون التسبيح كما يلهمون النفس، وأما النفع المتعدى والنفع للخلق وتدبير العالم فقد قالوا: هم تجرى أرزاق العباد على أيديهم، وينزلون بالعلوم والوحي ويحفظون ويمسكون وغير ذلك من أفعال الملائكة؟

والجواب: إن صالح البشر لهم مثل ذلك وأكثر منه، ويكفيك من ذلك شفاعة الشافع المشفع في المذنبين، وشفاعته في البشر كى يحاسبوا، وشفاعته في أهل الجنة حتى يدخلوا الجنة. ثم بعد ذلك تقع شفاعة الملائكة وأين هم من قوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، وأين هم عن الذين يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة، وأين هم ممن يدْعون إلى الهدى ودين الحق، ومن سن سنة حسنة. وأين هم من قوله ﷺ (أن من أمتى من يشفع في أكثر من ربيعة ومضر)[٢]. وأين هم من الأقطاب والأوتاد والأغواث والأبدال والنجباء، فهذا هداك الله وجه التفضيل بالأسباب المعلومة ذكرنا منه أنموذجا".[٣]

ثم قال المخالف: "هل يجوز الآن أن نقول أن للأولياء القّدرة على تدبير العالم ؟! هل من الممكن الآن أن نغيّر فتوى التحريم لفتوى تحليل تتوافق مع ابن تيمية ؟! هل آن لنا أن نعلم أن ابن تيمية صوفي ذائق ؟!".

رد الشبة: لم يسق المخالف سبب إيراده هذا الكلام، وما وجه إنكاره على السلفيين، ثم هذا الكلام الذي نقله عن ابن تيمية، قاله ﷺ في سياق كلام طويل؛ لنقاش مسألة مشهورة بين الناس؛ في التفضيل بين الملائكة والناس ولا شأن للتصوف به، وهو قول صحيح لا شبهة فيه في الأولياء الصالحين، الأحياء وليس الأموات، كما تعتقد الصوفية في نفع الأولياء الأموات. كما لم يتعرض المخالف لصفات هؤلاء الذي رزقهم الله هذه الصفات من نفع الخلق وتدبير العالم؟ وما قاله ابن تيمية ﷺ لم يكن من عند نفسه، أو لكونه صوفيا ذائقا –كما زعم هذا المجهول–، بل هو من الدين وصريح صحيح نصوص السنة، وفي ذلك أمور منها:

- **مكانة الولي العظيمة عند ربه:**

جاء في الحديث القدسي: (إِنَّ اللَّهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ

مَسَاءَتَهُ).[٤]

فإذا كان هذا حال الولي مع ربه سبحانه، أفيبخل عليه سبحانه باستنزال النصر والغيث، وإبرار قسمه، واستجابة دعائه في الحال، وتحقيق شفاعته، وجعل حرمته أعظم من حرمة بيته الحرام، وأن يُتَوسل به إلى الله وهو حي وأن يَخرِق له العادات.

أمور أثبتها الشرع الحنيف للولي الحي الصادق، وخالف الصوفية فأثبتت ما سبق للولي الميت؟؟. ومما أثبته الشرع الحنيف للولي الحي من تصريف في الكون ونحوه بقوة الله ومشيئته أمور:

أولا: تنزل النصر والرزق بسببه.

(رَأَى سَعْدٌ ﷺ أَنَّ لَهُ فَضْلًا عَلَى مَنْ دُونَهُ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ هَلْ تُنْصَرُونَ وَتُرْزَقُونَ إلا بِضُعَفَائِكُمْ).[٥]

ثانيا: إبرار قسمه.

عن أنس قال: (أَنَّ الرُّبَيِّعَ وَهِيَ ابْنَةُ النَّضْرِ كَسَرَتْ ثَنِيَّةَ جَارِيَةٍ، فَطَلَبُوا الأَرْشَ، وَطَلَبُوا العَفْوَ، فَأَبَوْا، فَأَتَوُا النَّبِيَّ ﷺ، فَأَمَرَهُمْ بِالقِصَاصِ، فَقَالَ أَنَسُ بْنُ النَّضْرِ: أَتُكْسَرُ ثَنِيَّةُ الرُّبَيِّعِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، لاَ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالحَقِّ، لاَ تُكْسَرُ ثَنِيَّتُهَا، فَقَالَ: يَا أَنَسُ كِتَابُ اللَّهِ القِصَاصُ، فَرَضِيَ القَوْمُ وَعَفَوْا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: إِنَّ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ مَنْ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لَأَبَرَّهُ).[٦] وفي رواية من حديث أبي هريرة ولفظه: (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: رُبَّ أَشْعَثَ مَدْفُوعٍ بِالْأَبْوَابِ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لَأَبَرَّهُ).[٧] زاد في رواية عند الترمذي: (مِنْهُمُ البَرَاءُ بْنُ مَالِكٍ).[٨]

ثالثا: حرمة الولي أعظم من حرمة الكعبة.

عن ابن عمر قال: (صَعِدَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ المِنْبَرَ فَنَادَى بِصَوْتٍ رَفِيعٍ، فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ مَنْ أَسْلَمَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يُفْضِ الإِيمَانُ إلى قَلْبِهِ، لَا تُؤْذُوا المُسْلِمِينَ وَلَا تُعَيِّرُوهُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ، فَإِنَّهُ مَنْ تَتَبَّعَ عَوْرَةَ أَخِيهِ المُسْلِمِ تَتَبَّعَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ تَتَبَّعَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ وَلَوْ فِي جَوْفِ رَحْلِهِ. قَالَ: وَنَظَرَ ابْنُ عُمَرَ يَوْمًا إلى البَيْتِ أَوْ إلى الكَعْبَةِ فَقَالَ: مَا أَعْظَمَكِ وَأَعْظَمَ حُرْمَتَكِ، وَالمُؤْمِنُ أَعْظَمُ حُرْمَةً عِنْدَ اللَّهِ مِنْكِ).[٩]

فهذا هو تشريع دين الإسلام وليس تشريع دين التصوف وأقطابه، والأحاديث في هذا الباب كثيرة تدل على القوة الخارقة التي وهبها الله عز وجل للولي المؤمن الحي، بل وتدل على قدرته الخارقة المخالفة لأمور الطبيعة، ومن هذه القوى ما حصل من كرامات لبعض الخُلّص من المؤمنين من عهد الصحابة فمن بعدهم: كما

حصل مع "العلاء بن الحضرمي" ومَشْيه على الماء هو ومن معه[١٠]، واستجابة دعاء العباس لاستنزال المطر وقبول توسل عمر به، ومثله حصل مع معاوية، وفضل أويس القرني، ومثله كثير في حياة الأولياء الأحياء. أما عقيدة الصوفية وأقطابها التي ينافح عنها المخالف، فتجاوزت الأحياء إلى الأموات، وجعلت لهم من القدرات والخوارق في تدبير شؤون هذا الكون ما يرفضه الشرع المطهر، وهذا من البدع المحدثة في الأمة الإسلامية التي أورثت الناس التبرك بالأولياء الأموات والاعتقاد في تصريفهم الكون ونحوه مما هو مبسوط في كتبهم.

قال ابن تيمية ﷺ: "بلغنى عن بعض السلف أنه قال: ما ابتدع قوم بدعة إلا في القرآن ما يردها ولكن لا يعلمون".[١١] وقال أيضا: "حقيقة الملَك والطبيعة الملكية أفضل، أم حقيقة البشر والطبيعة البشرية، وهذا كما أنا نعلم أن حقيقة الحي إذ هو حي أفضل من الميت، وحقيقة القوة والعلم من حيث هو كذلك أفضل من حقيقة الضعف والجهل، وحقيقة الذكر أفضل من حيث الأنثى".[١٢]

فانظر بارك الله فيك إلى اعتقاد القوم في أمواتهم، كالحلاج، والسهروردي المقتول، وابن عربي، وابن سبعين، وابن الفارض، وغيرهم من أرباب القول بوحدة الوجود والحلول والإتحاد.

أما قول المخالف ما نصه: "هل يجوز الآن أن نقول أن للأولياء القّدرة على تدبير العالم ؟! هل من الممكن الآن أن نغيّر فتوى التحريم لفتوى تحليل تتوافق مع ابن تيمية ؟! هل آن لنا أن نعلم أن ابن تيمية صوفي ذائق ؟!".

فأقول: ومن منع ما وهبه الشرع المطهر للولي الحي، كما أنه لم يذكر فتوى التحريم التي زعم وما هي؟ وأما قوله إن ابن تيمية صوفي ذائق؟، فهذا ضرب من الخبال، فابن تيمية عالم رباني سائر على منهج سلف الأمة، زاهد عرف معنى الزهد فعاشه واقعا، فذاق من خلاله طعم العبودية لله، فسلك به طريق الجنة للّحوق بركب الأنبياء والصديقين والأولياء، فضحي بكل شيء في سبيل ذلك، وجاهد في سبيل الله ودينه باليراع واللسان والسنان، فلم يخش في الله لومة لائم، حتى مات في سبيل ذلك مسجونا ﷺ؟

الشبهة الثانية: البدعة الحسنة:

قال المخالف: "ابن تيمية الصوفي القادري يقر بالبدعة الحسنة"، ثم نقل من كلامه من منهاج السنة، فقال: "قيل لهم: فمن أين لكم أن عثمان فعل هذا بغير دليل شرعي؟ وأن عليا قاتل أهل القبلة بدليل شرعي؟ وأيضا فإن علي بن أبي طالب ﷺ

أحدث في خلافته العيد الثاني بالجامع، فإن السنة المعروفة على عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر وعثمان أنه لا يصلى في المصر إلا جمعة واحدة، ولا يصلى يوم النحر والفطر إلا عيد واحد. والجمعة كانوا يصلونها في المسجد، والعيد يصلونه بالصحراء. وكان النبي ﷺ يخطب يوم الجمعة وعرفة قبل الصلاة، وفي العيد بعد الصلاة. واختلف عنه في الاستسقاء. فلما كان على عهد علي قيل له: إن بالبلد ضعفاء لا يستطيعون".[١٣]

رد الشبهة:

قال مقيده عفا الله عنه: ليس في كلامه ما يؤيد ما ذهب إليه المخالف؛ من دعوى إقرار ابن تيمية بالبدعة الحسنة، وليس هنا بدعة حسنة أو سيئة، بل هو اجتهاد خليفة نص النبي ﷺ على اتباع سنته، وهو لم يبتدع في الدين وإنما كانت صلاة العيد في الصحراء، وكان هو إماما المسلمين، وكما قال ابن تيمية: "فلما كان على عهد علي قيل له إن بالبلد ضعفاء لا يستطيعون الخروج إلى المصلى، فاستخلف عليهم رجلا صلى بالناس بالمسجد، قيل إنه صلى ركعتين بتكبير وقيل بل صلى أربعا بلا تكبير".[١٤] فهذا ليس فيه ابتداع، بل كل ما هنالك أنه أَذِن لعجزة الناس بأداء صلاة العيد في جامعهم القريب منهم رحمة بهم، حتى لا يتكلفوا المشاق للخروج للصحراء وقد أصاب ﷺ فله في ذلك أجران. ولو ألزمنا المسلمين اليوم بصلاة العيد في الصحراء لشق عليهم ذلك، ولا يخفى أنه يخرج لها النساء العواتق وذوات الخدور والحيض منهن كما في البخاري وغيره. فكان هذا اجتهادا موفقا من الخليفة الرابع المنصوص من النبي ﷺ على إتباعه، فلم يبتدع ﷺ في أصل العبادة، وهذا الاجتهاد هو ما قصده ابن تيمية بقوله: "أحدث في خلافته العيد الثاني بالجامع"، وذلك حتى لا يحرم العجزة فضيلة صلاة العيد المشروعة لمشقة المكان. والصلاة في الجامع أمر أوجبه الشارع وحث عليه، وهو بخلاف الإحداث الموجود عند أصحاب الطرق الصوفية، كالعكوف عند القبور والأضرحة وبناء المساجد عليها، وما يحصل حولها من أمور ومخالفات لأبسط قواعد الشريعة، كالطواف حولها، والذبح والنذر لأصحابها، والأذكار المخترعة من قبل أرباب الطرق التي تلقن للمريدين. مما جعلهم يزهدون في الأذكار النبوية.

البدعة الحسنة في نظر ابن تيمية:

قال ابن تيمية: "وكل بدعة ليست واجبة ولا مستحبة، فهي بدعة سيئة وهى ضلالة باتفاق المسلمين، ومن قال في بعض البدع إنها بدعة حسنة فإنما ذلك إذا قام دليل شرعي أنها مستحبة، فأما ما ليس بمستحب ولا واجب، فلا يقول أحد من

المسلمين أنها من الحسنات التي يتقرب بها إلى الله".[١٥] وقال أيضا: "ومعلوم أن كلما لم يسنّه ولا استحبه رسول الله ﷺ، ولا أحد من هؤلاء الذين يَقتدى بهم المسلمون في دينهم؛ فإنه يكون من البدع المنكرات، ولا يقول أحد في مثل هذا إنه بدعة حسنة، إذا البدعة الحسنة: عند من يقسم البدع إلى حسنة وسيئة لابد أن يستحبها أحد من أهل العلم الذين يقتدى بهم، ويقوم دليل شرعي على استحبابها، وكذلك من يقول: البدعة الشرعية كلها مذمومة لقوله ﷺ في الحديث الصحيح (كل بدعة ضلالة)، ويقول: قول عمر في التراويح: (نعمت البدعة هذه)، إنما أسماها بدعة باعتبار وضع اللغة، فالبدعة في الشرع عند هؤلاء: ما لم يقم دليل شرعي على استحبابه، ومآل القولين واحد، إذ هم متفقون على أن ما لم يُستحب أو يَجب من الشرع فليس بواجب ولا مستحب، فمن اتخذ عملا من الأعمال عبادة ودينا وليس ذلك في الشريعة واجبا ولا مستحبا فهو ضال باتفاق المسلمين".[١٦]

الشبه الثالثة: مقام الصديقية الخاص بالصوفية:

قال المخالف: "مقام الصديقية الخاص بالصوفية، الصوفية من أكمل صديقي زمانهم". ثم نقل من كلام ابن تيمية ما نصه: "ثم التصوف عندهم له حقائق وأحوال معروفة، قد تكلموا في حدوده وسيرته وأخلاقه كقول بعضهم: الصوفي من صفا من الكدر، وامتلأ من الفكر، واستوى عنده الذهب والحجر، التصوف كتمان المعانى، وترك الدعاوى وأشباه ذلك، وهم يريدون بالصوفي معنى الصديق، وأفضل الخلق بعد الأنبياء الصديقون، كما قال الله تعالى: ﴿فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ (النساء: ٦٩)، ولهذا ليس عندهم بعد الأنبياء أفضل من الصوفي، لكن هو في الحقيقة نوع من الصديقين، فهو الصديق الذي اختص بالزهد والعبادة على الوجه الذي اجتهدوا فيه، فكان الصديق من أهل هذه الطريق كما يقال: صديقو العلماء وصديقو الأمراء، فهو أخص من الصديق المطلق ودون الصديق الكامل الصديقية من الصحابة والتابعين وتابعيهم، فإذا قيل عن أولئك الزهاد والعباد من البصريين أنهم صديقون، فهو كما يقال عن أئمة الفقهاء من أهل الكوفة أنهم صديقون أيضا، كل بحسب الطريق الذي سلكه من طاعة الله ورسوله بحسب اجتهاده، وقد يكونون من أجلّ الصديقين بحسب زمانهم، فهم من أكمل صديقى زمانهم والصديق في العصر الأول أكمل منهم، والصديقون درجات وأنواع ولهذا يوجد لكل منهم صنف من الأحوال والعبادات حققه واحكمه وغلب عليه".[١٧]

رد الشبهة:

كلام المخالف سفسطة من القول، فابن تيمية رحمه الله كان يتكلم على بدايات

التصوف وأهله، وأنصفهم على وسطيته في نقد المخالف، من ذكر محسانهم ومثالبهم وموافقاتهم للشرع ومخالفاتهم، فظن المخالف –وبعض الظن إثم– من بعض عبارات الثناء، أن ابن تيمية صوفي متذوق. وأيضا المخالف نقل كلامه مبتورا، إذ بقيته تبين مقصوده، وليس كما ظن المخالف، فلا يفرح لأن الله لا يحب الفرحين. وهناك عبارتان من كلام ابن تيمية ركز عليها المخالف وغرته:

العبارة الأولى: قوله: "هو في الحقيقة نوع من الصديقين فهو الصديق الذي اختص بالزهد والعبادة".

قال مقيده عفا الله عنه: كلام ابن تيمية بعده يبين مقصوده، وهو أن الصديقية عند الصوفية القدامى لا عموم الصديقية فقال: "فكان الصديق من أهل هذه الطريق كما يقال: صديقو العلماء ....الخ".

العبارة الثانية: قوله: " فهم من أكمل صديقى زمانهم والصديق".

قلت: وهو ظاهر أن مقصده الصوفية القدامى، والقيد بصديقي ذاك الزمان فقط وليس في كل الأزمنة. كما تكلم ابن تيمية عن التصوف في القرون الثلاثة الأوَل، وأنه اشتهر التكلم به بعد ذلك، ثم ذكر التنازع في معنى الصوفي، كما تكلم على ظهور التصوف في البصرة وحال من ظهر فيها منهم، وتنازع العلماء في ما ينتابهم من الأحوال، ثم خلص إلى أن هذه الأمور التي فيها زيادة عبادة خرجت منها، ثم ذكر تنازع العلماء في هذه العبادة الزائدة بين القدح والمدح، وذكر الصواب فيه، حتى وصل إلى الكلام الذي نقله المخالف آنفا.

وأنقل تتمة كلام ابن تيمية ليفهم المقصود ويتضح خلاف ما أراده المخالف: قال ﷺ: "ولأجل ما وقع في كثير منهم من الاجتهاد والتنازع فيه، تنازع الناس في طريقهم، فطائفة ذمت الصوفية والتصوف، وقالوا أنهم مبتدعون خارجون عن السنة، ونُقل عن طائفة من الأئمة في ذلك من الكلام ما هو معروف، وتبعهم على ذلك طوائف من أهل الفقه والكلام، وطائفة غلت فيهم، وادعوا أنهم أفضل الخلق وأكملهم بعد الأنبياء، وكلا طرفي هذه الأمور ذميم. والصواب أنهم مجتهدون في طاعة الله، كما اجتهد غيرهم"، إلى أن قال: "وقد انتسب إليهم طوائف من أهل البدع والزندقة، ولكن عند المحققين من أهل التصوف ليسوا منهم كالحلاج مثلا، فإن أكثر مشائخ الطريق أنكروه وأخرجوه عن الطريق، مثل: الجنيد بن محمد سيد الطائفة وغيره، كما ذكر ذلك الشيخ أبو عبد الرحمن السُّلمى في طبقات الصوفية، وذكره الحافظ أبو بكر الخطيب في تاريخ بغداد. فهذا أصل التصوف ثم انه بعد ذلك تشعب وتنوع وصارت

الصوفية ثلاثة أصناف: صوفية الحقائق، وصوفية الأرزاق، وصوفية الرسم.

* فأما **صوفية الحقائق:** فهم الذين وصفناهم.

* وأما **صوفية الأرزاق:** فهم الذين وُقِّفَت عليهم الوقوف كالخوانك، فلا يشترط في هؤلاء أن يكونوا من أهل الحقائق، فإن هذا عزيز، وأكثر أهل الحقائق لا يتصفون بلزوم الخوانك ولكن يشترط فيم ثلاثة شروط:

أحدها: العدالة الشرعية، بحيث يؤدون الفرائض ويجتنبون المحارم.

والثاني: التأدب بآداب أهل الطريق، وهى الآداب الشرعية في غالب الأوقات، وأما الآداب البدعية الوضعية فلا يلتفت إليها.

والثالث: أن لا يكون أحدهم متمسكا بفضول الدنيا، فأما من كان جماعا للمال، أو كان غير متخلق بالأخلاق المحمودة، ولا يتأدب بالآداب الشرعية، أو كان فاسقا فإنه لا يستحق ذلك.

* وأما **صوفية الرسم:** فهم المقتصرون على النسبة، فهمهم في اللباس والآداب الوضعية ونحو ذلك، فهؤلاء في الصوفية بمنزلة الذي يقتصر على زى أهل العلم، وأهل الجهاد ونوع ما من أقوالهم وأعمالهم بحيث يظن الجاهل حقيقة أمره أنه منهم وليس منهم".[١٨]

الشبهة الرابعة: تصريف الولي للكون:

قال المخالف: "إقرارات بالتصرف ولم نجد من يقول أنهم مُشركين". ثم ساق المخالف من كلام ابن تيمية ما نصه: "فصل: حدثنى أبي عن محي الدين ابن النحاس، وأظننى سمعتها منه أنه رأى الشيخ عبد القادر في منامه وهو يقول أخبارا عن الحق تعالى: من جاءنا تلقيناه من البعيد، ومن تصرف بحولنا ألنا له الحديد، ومن اتبع مرادنا أردنا ما يريد، ومن ترك من أجلنا أعطيناه فوق المزيد. قلت –ابن تيمية–: هذا من جهة الرب تبارك وتعالى، فالأولتان: العبادة والاستعانة، والآخرتان: الطاعة والمعصية، فالذهاب إلى الله هي عبادته وحده، كما قال تعالى: (من تقرب إلى شبرا تقربت إليه ذراعا، ومن تقرب إلى ذراعا تقربت إليه باعا، ومن آتاني يمشي أتيته هرولة)، والتقرب بحوله هو الاستعانة والتوكل عليه، فإنه لا حول ولا قوة إلا بالله، وفى الأثر: (من سره أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله)[١٩]، وعن سعيد بن جبير: (التوكل جماع الإيمان)، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ (الطلاق:٣)، وقال: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ (الأنفال:٩)، وهذا على أصح القولين في أن التوكل عليه –بمنزلة الدعاء على أصح القولين أيضا– سبب لجلب

المنافع ودفع المضار، فإنه يفيد قوة العبد وتصريف الكون، ولهذا هو الغالب على ذوى الأحوال مُتَشرعهم وغير متشرعهم، وبه يتصرفون ويؤثرون تارة بما يوافق الأمر وتارة بما يخالفه. وقوله: ومن اتبع مرادنا، يعنى المراد الشرعي كقوله: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ (البقرة: ١٨٥)، وقوله: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ﴾ (النساء: ٢٨)، وقوله: ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ﴾ (المائدة:٦)، هذا هو طاعة أمره وقد جاء في الحديث (وأنت يا عمر لو أطعت الله لأطاعك)[٢٠]".[٢١]

كما انتقى المخالف من كلام ابن خلدون في مقدمته ما نصه: "وأما الكلام في كرامات القوم، وإخبارهم بالمغيبات، وتصرفهم في الكائنات، فأمر صحيح غير منكر وإن مال بعض العلماء إلى إنكارها فليس ذلك من الحق".[٢٢]

رد الشبهة:

تكلم ابن تيمية هنا على منام للشيخ عبد القادر بما يوافق الشرع، واستدراك المخالف غير مستدرك، ونحن لا ننكر ما قاله ابن تيمية مادام أثبته الشرع المطهر، وقد سبق الاستفاضة في بيان ما أكرم الله به الأولياء من خوارق العادات في رد الشبهة الأولى، وأن ذلك لا تعلق له لا بالتصوف ولا بالشرك والمشركين. كما لم يتدبر المخالف ما قاله ابن تيمية في سياق كلامه السابق عن التوكل وهو: "فإنه يفيد قوة العبد، وتصريف الكون، ولهذا هو الغالب على ذوي الأحوال متشرعهم وغير متشرعهم، وبه يتصرفون ويؤثرون تارة بما يوافق الأمر، وتارة بما يخالفه".

فهل فهم المخالف مقصود ابن تيمية ﷺ من قوله: "ولهذا هو الغالب على ذوى الأحوال متشرعهم وغير متشرعهم"، ومن قوله: "تارة بما يوافق الأمر وتارة بما يخالفه". فهذه الخوارق قد تكون من غير أهل الصلاح والولاية، وأسوق بعض كلام ابن تيمية عله يزيل تعالم المخالف، حيث بوب ﷺ في كتابه الحسنة والسيئة: "الكرامات عند الصوفية" فقال: "وآخرون من عوام هؤلاء يُجَوِّزون أن يكرم الله بكرامات أكابر الأولياء، من يكون فاجرا بل كافرا، ويقولون هذه موهبة وعطية يعطيها الله من يشاء، ما هي متعلقة لا بصلاة ولا بصيام، ويظنون أن تلك من كرامات الأولياء، وتكون كراماتهم من الأحوال الشيطانية التي يكون مثلها للسحرة والكهان..".[٢٣]

وقال أيضا: "بيّن النبي ﷺ أن القلب يكون فيه شعبة نفاق وشعبة إيمان، فإذا كان فيه شعبة نفاق كان فيه شعبة من ولايته وشعبة من عداوته، ولهذا يكون بعض هؤلاء يجرى على يديه خوارق من جهة إيمانه بالله وتقواه تكون من كرامات الأولياء،

وخوارق من جهة نفاقه وعداوته تكون من أحوال الشياطين، ولهذا أمرنا الله تعالى أن نقول كل صلاة: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ *صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾.[٢٤]

وقال ﷺ معرضا بالقبوريين المعتقدين في قدرة أصحابها التأثير في الكون: "وآخرون يأتي أحدهم إلى قبر من يعظمه، ويحسن به الظن من الصالحين وغيرهم، فتارة يرى القبر قد انشق وخرج منه إنسان على صورة ذلك الرجل، وتارة يرى ذلك الإنسان قد دخل في القبر، وتارة يراه إما راكبا وإما ماشيا، داخلا إلى مكان ذلك الميت كالقبة المبنية على القبر، وتارة يراه خارجا من ذلك المكان، ويظن أن ذلك هو ذلك الرجل الصالح، وقد يظن أن قوما استغاثوا به فذهب إليهم، ويكون ذلك شيطانا تصور بصورته، وهذا جرى لغير واحد ممن أعرفهم وتارة يستغيث...الخ".[٢٥]

رد شبهة كلام ابن خلدون:

ننقل هنا رد عالم إمام هو: "صديق بن حسن القنوجي ت ١٣٠٧هـ"، فقال في أبجد العلوم ما نصه: "وما ذكر من كرامات الأولياء فهو حق يدل عليه القرآن والسنة، وما ذكر من التصرفات في العوالم والإخبار عن المغيبات ففيه نظر وتفصيل، ذُكر في محله فليعلم والله أعلم".[٢٦]

الشبهة الخامسة: بيئة صوفية:

قال المخالف: "الفتوى التي تدُل على البيئة الصوفية التي يعيش فيها ابن تيمية". ثم ذكر المتعالم جوابه عن سؤال ذِكر عددي، فقال: "وسئل عمن هلل سبعين ألف مرة، وأهداه للميت يكون براءة للميت من النار، حديث صحيح أم لا؟ وإذا هلل الإنسان وأهداه إلى الميت يصل إليه ثوابه أم لا؟

فأجاب: إذا هلل الإنسان هكذا سبعون ألفا، أو أقل أو أكثر، وأهديت إليه نفعه الله بذلك، وليس هذا حديثا صحيحا ولا ضعيفا والله أعلم".[٢٧]

رد الشبهة:

ظن المخالف من الجواب –وبعض الظن إثم– أن هذا بيئة صوفية من ابن تيمية، وهذا تعالم من المخالف، فأي بيئة صوفية في جواب سائل عن ذكر عددي. وهل الإكثار من التهليل بالمئيين بيئة صوفية، وهل في رد ابن تيمية ما يفهم منه ما فهمه المتعالم؟ ألم يحث النبي ﷺ على أن يكون لسان أحدنا رطبا من ذكر الله، كما في السنن من حديث عبد الله بن بسر ﷺ: (أن رجلا قال: يا رسول الله إن شرائع الإسلام قد كثرت علي، فأخبرني بشيء أتشبث به، قال لا يزال لسانك رطبا من ذكر

الله).[٢٨]، وحديث أبي هريرة ﷺ: (كان رسول الله ﷺ يسير في طريق مكة فمر على جبل يقال له جُمدان، فقال: سيروا هذا جمدان، سبق المفردون، قالوا: وما المفردون يا رسول الله؟ قال: الذاكرون الله كثيرا والذاكرات).[٢٩] ، وفي رواية أحمد: (قالوا يا رسول الله: ومن المفردون؟ قال: الذين يهترون في ذكر الله).[٣٠]، وحديث أبي سعيد الخدري ﷺ وفيه ضعف محتمل عند أحمد: (أن رسول الله ﷺ قال: أكثروا ذكر الله حتى يقولوا مجنون).[٣١]

فيا ترى هل هذا من رسول الله ﷺ بيئة صوفية؟؟ حاشا وكلا؟

أما البيئة الصوفية التي يزعم المتعالم نسبتها لابن تيمية وهو منها بريء، فأسوق بعضها عله يستطيع التميز والمقارنة: قال د.علوي المالكي –أحد منظري الاحتفال بالمولد النبوي– في كتابه أبواب الفرج (ص ٩٨): "دعاء الناصر"، ثم قال: "من أعظم أبواب الفرج هذا الدعاء العظيم الشامل الذي رويناه عن مشايخنا، عن الإمام العارف سيدي محمد بن ناصر الدرعي ﷺ"، ثم ساق أبياتا كثيرة فيها توسلات واستغاثات بالأقطاب والأوتاد.

فانظر أخي المسلم كيف جعل من الدعاء الشِّعري، المختلط بتوسلات واستغاثات الأموات، دعاء عظيما وأعرض عن دعاء القرآن والسنة، دليلا على عدم التوفيق.

ثم ذكر المالكي (ص ١١٦) خصائص وأسرار البسملة، مما لم يرد فيه شيء مشروع كـ: قراءتها عند النوم (٢١ مرة) للحفظ من موت الفجاءة، وقراءتها (١١٣ مرة) يوم الجمعة، و(٣١٣ مرة) مع الصلاة على النبي لزيادة الرزق، و(٧٨٧ مرة) لقضاء الحوائج العامة، و(٢٥٠٠ مرة) بعد الصبح للفتح والفهم، ثم ذكر قراءتها عن الغزالي (١٢٠٠٠ مرة) وصلاة ركعتين بعدها وسؤال المصلي حاجته. كما ذكر (ص ١١٨) دعاء البسملة وفيه: "يا من هو: كهيعص، حمعسق، الم، المر، المص، بسر اسمائك الأعظم". ثم ذكر (ص ١٣٤) نقلا عن العلماء ولم يسمهم، ولست أدري أي العلماء يقصد، أنهم رتبوا قراءة آية الكرسي بعدد حروفها، أو بعدد كلماتها، أو بعدد المرسلين من الأنبياء، وذكر ترديد قوله تعالى: ﴿ولا يؤده حفظهما...﴾ ٧٠ مرة.

قال مقيده عفا الله عنه: وقد استفاد المالكي هذا الباطل من كتاب شمس المعارف للبوني الصوفي.[٣٢]

ثم ذكر المالكي أيضا (ص ١٣٨) ترتيب قراءة (حسبنا الله ونعم الوكيل، ٤٥٠، و٩٥٠، و١٩٠٠٠، و٤٠٠٠، و٧٠٠٠ مرة). وكتابه طافح بهذه البيئة

الصوفية المقيتة، التي أبعدت مرتاديها عن معين النبوة الصافي، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وهذا غيض من فيض شيخ صوفي معاصر مقتدى به عندهم.

الشبهة السادسة: المولد النبوي والاحتفال:[٣٣]

قال المخالف: "ابن تيمية الصوفي ذوقاً ومشرباً وموقفه من المولد النبوي. ابن تيمية وموقفه من أحبابه الصوفية يتجلّى واضحاً في كل أحكامه، فهل حرّم ابن تيمية المولد النبوي الشريف؟! مقال يُبيّن غوامض محبة ابن تيمية للصوفية، وتعلقه بجناب المصطفى صلوات ربي وسلامه عليه. ابن تيمية يكره أن يخصص يوم الولادة فقط بالاحتفال ولا يحرم الاحتفال بالمصطفى صلوات ربي وسلامه عليه".

شبهات الاحتفال بالمولد وردها:

أقول وبالله التوفيق مناقشا لنقاطه الآتية نقطة نقطة:

قال المخالف: "**أولاً:** مناقشة تخصيص يوم المولد، والحكم فيه فقط كراهة تنزيه، فالمسألة ليست من مسائل العقيدة كما يقول المتطرفون". ثم ساق كلام ابن تيمية من كتابه اقتضاء الصراط ما نصه: "فصل: ومن المنكرات في هذا الباب سائر الأعياد والمواسم المبتدعة، فإنها من المنكرات المكروهات، سواء بلغت الكراهة التحريم أو لم تبلغه".[٣٤]

قال مقيده عفا الله عنه: أقر المخالف بكلام ابن تيمية أن المولد من المنكرات، ولم يستطع دفعه أو إثبات خلافه، وأما قوله: "أن المولد ليس من مسائل العقيدة" فباطل بل هو عين الباطل، وفي ختام ردي عليه أذكر العقائد الفاسدة التي يعتقدها أهل المولد ومشايخه والتي يُدعى لها فيه، والتي قد تُخرج معتقدها من الملة؟ وهي موجودة في مؤلفات المولد أيضا.

قال المخالف: "**ثانياً:** الإشكال في المولد تحديد موعد زماني فقط، وليس التعظيم والمحبة، لأجل هذا أدرجها ضمن القسم الثاني في الأعياد الزمانية". ثم ساق من كلام ابن تيمية في الاقتضاء ما نصه: "تقدم أن العيد يكون اسما لنفس المكان ولنفس الزمان ولنفس الاجتماع، وهذه الثلاثة قد أحدث منها أشياء: أما الزمان فثلاثة أنواع، ويدخل فيها بعض بدع أعياد المكان والأفعال، أحدها يوم لم تعظمه الشريعة أصلا، ولم يكن له ذكر في وقت السلف ولا جرى فيه ما يوجب تعظيمه، مثل أول خميس من رجب...".[٣٥]، كما ساق المخالف قوله: "النوع الثاني: ما جرى فيه حادثة، كما كان يجري في غيره من غير أن يوجب ذلك جعله موسما، ولا كان السلف يعظمونه كثامن عشري ذي الحجة، الذي خطب فيه النبي ﷺ بغدير خم، مرجعه من

حجة الوداع، فإنه ﷺ خطب فيه خطبة وصى فيها باتباع كتاب الله، ووصى فيها بأهل بيته كما روى مسلم في صحيحه عن زيد بن أرقم ﷺ".[٣٦]

قال مقيده عفا الله عنه: زعمه أن المولد من النوع الثاني مما بينه ابن تيمية، ليس فيه ما يؤيد مذهب المخالف، وهو حجة عليه حيث لم يخرجه من دائرة المبتدعة المحدثين في دين رب العالمين المشابهين للنصارى، كما رضيه المخالف فيما يأتي لنفسه ومن لف لفه:

قال المخالف: "**ثالثاً**: إقامة الاحتفالات لتعظيمه ومحبته مُثاب فاعلها. البدعة المكروهة كراهة التنزيه هي: تحديد يوم مُعين للاحتفال، الله قد يثيبهم على المحبة والاجتهاد لا على تخصيص يوم". ثم ساق المخالف راضيا الطعن في نفسه، ومن على منهجه وفكره من كلام ابن تيمية، كونهم مبتدعة مشابهون للنصارى، قوله: "وكذلك ما يحدثه بعض الناس إما مضاهاة للنصارى في ميلاد عيسى عليه السلام، وإما محبة للنبي ﷺ وتعظيما له، والله قد يثيبهم على هذه المحبة والاجتهاد لا على البدع من اتخاذ مولد النبي ﷺ عيدا".[٣٧]

قال مقيده عفا الله عنه: ابن تيمية ﷺ لم يجزم القول بالثواب كما فهم المخالف تعالما، إذ قال: "قد يثيبهم الله" وقد تفيد الاحتمال، وقد لا يثيبهم الله إذ هذا راجع له سبحانه وتعالى فتنبه؟

قال المخالف: "**رابعاً**: لم يترك ابن تيمية المسألة دون أن يضع حلولاً لمن يريد تعظيم النبي ومحبته. فالحل لديه أن لا تُخصص يوم الثاني عشر بالاحتفال فقط، ولكن احتفل قبله أو بعده، أو في غير اليوم إن لم تستطع أن تضم إليه غيره". ثم ساق من كلام ابن تيمية ما نصه: "وذلك أن النبي ﷺ نهى عن تخصيص أوقات بصلاة أو بصيام، وأباح ذلك إذا لم يكن على وجه التخصيص، فروى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: (لا تخصوا ليلة الجمعة بقيام من بين الليالي ولا تخصوا يوم الجمعة بصيام من بين الأيام إلا أن يكون في صوم يصومه أحدكم)[٣٨]، وفي الصحيحين عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (لا يصومن أحدكم يوم الجمعة إلا يوما قبله أو يوما بعده)[٣٩]، وهذا لفظ البخاري".[٤٠]

قال مقيده عفا الله عنه: المخالف متعالم لا يحسن الاستدلال، فكلام ابن تيمية السابق عن تخصيص العبادة المشروعة بدون مخصص، كمن يخص يوم الجمعة بصيام، إذ الصيام مشروع منصوص عليه بالكتاب والسنة، فهل المولد أمر مشروع مثله؟ ثم زعم كاذبا أن الحل لدى ابن تيمية: أن لا تُخصص يوم الثاني عشر

بالاحتفال فقط، ولكن احتفل قبله أو بعده، أو في غير اليوم إن لم تستطع أن تضم إليه غيره.

وهذا ما لا سبيل لإثباته من كلام ابن تيمية، لا منطوقا ولا مفهوما، بل العكس خلافه، وإنما هو فهم فاسد فهمه المخالف، معتمدا على تعالمه في توجيه نصوص استدل بها ابن تيمية دون الربط بينها، ومما يثبت فساد فهمه وتعالمه، قياسه الاحتفال بيوم المولد على الصوم قبل يوم الجمعة أو بعده، وهذا والله من الصوفيات المضحكات المبكيات.

قال المخالف: "وجاء من بعد ابن تيمية تلميذه النجيب ابن قيم الجوزية، ليحل هذا الإشكال من أوسع أبوابه، فيُجيب على من يحتج بالقول بأن بعض الأعمال لم تثبت عن السلف". فذكر المخالف من كلام ابن القيم ﷺ ما نصه: "والقائل أن أحدا من السلف لم يفعل ذلك قائل مالا علم له به، فإن هذه شهادة على نفي ما لم يعمله، فما يدريه أن السلف كانوا يفعلون ذلك ولا يشهدون من حضرهم عليه".[٤١]

قال مقيده عفا الله عنه: وهذا تعالم آخر من المخالف، إذ كلام ابن القيم على إهداء ثواب الأعمال الصالحة للميت، وهو عمل فردي لا يطلع عليه كل أحد، وليس عملا جماعيا حتى يقال فيه: وما يدريه أن السلف كانوا يفعلونه، بخلاف الاحتفال بالمولد الذي هو عمل جماعي، يحضره المشايخ والمريدون ولا يخفى على الناس بحال، بل يدعونهم ويرغبونهم لحضوره فأفهم!!

ثم قال المخالف: "خلاصة المقال: المسألة اجتهادية..لا يُنكر على فاعلها إتباع قول عالم من العلماء وممّن قال بجوازها: ابن حجر، والسيوطي، والسخاوي، وابن السني وغيرهم". ثم ساق من كلام ابن تيمية ما نصه: "وسئل عمن يقلد بعض العلماء في مسائل الاجتهاد فهل ينكر عليه أم يجهر، وكذلك من يعمل بأحد القولين، فأجاب: الحمد لله، مسائل الاجتهاد من عمل فيها بقول بعض العلماء لم ينكر عليه ولم يجهر، ومن عمل بأحد القولين لم ينكر عليه، وإذا كان في المسألة قولان فإن كان الإنسان يظهر له رجحان أحد القولين عمل به، وإلا قلد بعض العلماء الذين يعتمد عليهم في بيان أرجح القولين والله أعلم".[٤٢]

قال مقيده عفا الله عنه: المخالف كالغريق الذي يتمسك بقشة علها تنجيه من الغرق، وهذا الكلام حق في مسائل الاجتهاد التي اجتهد فيها علماء السنة؟ استدل به المخالف تعالما لإحقاق باطل وهو الاحتفال بالمولد الذي هو من اجتهاد الرافضة؟

وإليك الجواب فيمن اجتهد واخترع الاحتفال بالمولد:

مخترع الاحتفال بالمولد النبوي:

الاحتفال بالمولد النبوي ليس من الدين الحنيف في شيء، ومخترعه ليس من أهل السنة والجماعة، لكي نبرر فعله –إن جاز لنا التبرير– أن هذا الاحتفال اجتهاد فقهي من هذا العالم، بل أحدثه الرافضة الفاطميون العبيدون، في القرن الرابع الهجري لما حكموا مصر، كما أحدثوا أمورا أخرى، منها ما كان لمسلمي مصر، ومنها ماكان لأقباطها، والذي ظهر لي أن هذا كان من باب سياسة إلهاء الشعب المصري.

يذكر لنا المؤرخ المقريزي (ت ٨٤٥ هـ) في خططه: الأمور والأعياد والمواسم التي أحدثوها للمسلمين والأقباط وهي: "رأس السنة، وموسم أول العام، ويوم عاشوراء، وموالد النبي ﷺ وعلي والحسن والحسين وفاطمة، ومولد الخليفة الحاضر، وليلة رجب وليلة نصفه، وليلة أول شعبان وليلة نصفه، وموسم ليلة رمضان وسماط رمضان، وليلة الختم، وموسم عيد الفطر، وموسم النحر، وعيد الغدير، وكسوة الشتاء، وكسوة الصيف، وموسم فتح الخليج، ويوم النيروز، ويوم الغطاس، ويوم الميلاد، وخميس العدس، وأيام الركوبات".[٤٣]، ثم يصف المقريزي الفاطميين بقوله: "اعلم أن القوم كانوا شيعة، ثم غلوا حتى عُدّوا من غلاة أهل الرفض".[٤٤]

قلت: وغلوهم في الرفض يظهر من الأعياد التي أحدثوها لأهل البيت والتي منها: يوم عاشوراء، وعيد الغدير. ثم وصف المقريزي ما كان يفعله الفاطميون في يوم عاشوراء، من النياحة والبكاء وشق الثياب، وأرخ ذلك في سنة ٣٦٣هـ.[٤٥]

أما أعياد النصارى التي أحدثوها فهي: يوم النيروز، وعيد الميلاد، والغطاس وخميس العدس، وقد فصل المقريزي في خططه الكلام عنها.[٤٦]، أما يوم الغطاس فيقول عنه ابن تيمية ﷺ: أنه اليوم الذي عَمّد فيه يحيى عيسى عليهما السلام في ماء المعمودية، فهم يتعمَّدون في هذا الوقت ويسمونه عيد الغطاس.[٤٧]

فإذا كان هؤلاء هم من اخترع المولد النبوي والاحتفال به، فهل نتبعهم ونقلدهم ونجعلهم قدوة لنا فيما ابتدعوه، ولا يخفى أن الفاطميين لهم تاريخ أسود مع المسلمين السنة إبان حكمهم لمصر. ومع ذلك نجد صوفيا محترقا يزعم أنه من أهل السنة ومنتسب لأهل البيت يقول: "وليس المهم من فعله من الحكام أو الشعوب".[٤٨]

وهذا قول لا يقوله منتسب للعلم وأهله، وقد نهينا أن نكون إمْعه، ولقد نصح الصحابي الجليل ابن مسعود ﷺ لله ودينه ونبيه وأمته فقال: (من كان مستنا فليستن بمن قد مات أولئك أصحاب محمد ﷺ، كانوا خير هذه الأمة أبرها قلوبا وأعمقها علما

وأقلها تكلفا، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه ﷺ ونقل دينه، فتشبهوا بأخلاقهم وطرائقهم، فهم أصحاب محمد ﷺ كانوا على الهدى المستقيم والله رب الكعبة).[٤٩]

التصوف والاحتفال بالمولد:

فكرة المولد النبوي والاحتفال به راقت كثيرا لمشايخ الصوفية ومريديهم، فتلقفوها من رحم الدولة الفاطمية العفن، وزادوا عليها احتفالات أخر لمشايخهم وأقطابهم، مثل مولد أحمد البدوي، وأبي الحسن الشاذلي، وإبراهيم الدسوقي وغيرهم، وآخرها مولد الشيخ الداعية المشهور محمد متولي الشعراوي وكان مولده لمدة خمسة أيام.[٥٠] وللأستاذ ج. و. مكفرسون كتاب (الموالد في مصر) ذكر فيه عشرات الموالد التي يقوم بها المسلمون والأقباط.

إن الصوفية وطرقها منظمة كبيرة لها لوائح ونظم مُقننة، فاللوائح الداخلية للطرق الصوفية لعام (١٩٠٥م)، تثبت اهتمام الصوفية بالموالد والاحتفال بها، ففي الفصل الخامس من هذه اللوائح، والذي يتعلق بالشئون العامة، تنص المادة السادسة فيها على أنه: "يمكن لكل شخص بإقامة مولد وتنظيمه، إذا ثبت قيامه بفعل ذلك لمدة لا تقل عن خمس سنوات، ومن الأمور الأساسية أنه لا ينبغي أن يقوم بجوار المولد أو موقعه الملاصق أي شيء يناقض السلوك القانوني، مثل الألعاب والملاهي وما شابهه".[٥١]

ويقول شيخ مشايخ الطرق الصوفية د. أبو الوفا التفتازاني: "ينظم القانون– ١١٨ لسنة ١٩٧٦م، كذلك في الباب الثاني الموالد والمواكب الصوفية، ويبين كيفية التصريح بها من مشيخة الطرق، والضوابط الكفيلة بأن لا يتنافى شيء منها مع القواعد الدينية والصوفية، المستمدة من آداب الشريعة الإسلامية، وينظم كذلك مجالس الذكر والاحتفالات الدينية، وإقامة الندوات بحيث تتفق كلها مع الشريعة".[٥٢]

قال مقيده عفا الله عنه: فهل هذا من الدين في شيء؟

العقائد الفاسدة التي يحتوي عليها الاحتفال بالمولد:

***حديث النور عمدة الاحتفال بالمولد وبه يُبدأ:**

عقيدة النور المحمدي اخترعها أقطاب التصوف، وأصّلوا لها في كتبهم وأشعارهم، معتمدين على حديث موضوع لا أصل له في كتب السنة، نسبوه زورا وبهتانا للإمام عبد الرزاق. وهذا الحديث الموضوع ضرره عظيم على العقيدة الإسلامية، لما فيه من مخالفة ما أخبرنا الله ونبيه عن أصل المخلوقات، ويعد هذا الحديث أصل عقائد التصوف، كعقيدة تأليه النبي ﷺ والحقيقة المحمدية، ووحدة وجود

النبي ﷺ.

***عقيدة الحقيقة المحمدية في مؤلفات المولد النبوي:**

من الثابت والمسلمات لدينا أن مشايخ المولد النبوي من المتصوفة، كما أنهم يعتقدون معتقداتهم، يثبت ذلك مؤلفاتهم وما بثّوه فيها من عقائدهم، ومن هذه العقائد (عقيدة الحقيقة المحمدية) المستوحاة من النور المحمدي، وهو مصطلح لم يستقر فيه أقطاب التصوف على تعريف واضح محدد، بل قال كل واحد فيه بحسب ذوقه وما ورد على قلبه فيه.

***غلوهم في النور المحمدي:**

لا تكاد ترى غلوا في الأمة إلا وللصوفية فيه قصب السبق، وغلوهم في النور المحمدي يكاد يخرج من الملة فمن ذلك:

* **زعمهم أن الله عز وجل ظهر في النور المحمدي.** ذكر هذا الباطل منظر المولد في العصر الحديث النبهاني في جواهره عن مولد المغربي.[٥٣]

* **زعمهم أن النور المحمدي هو المرآة التي ظهر فيها الله عز وجل.** تعالى الله عما يقول الزنادقة علوا كبيرا. وفي ذلك يقول الجيلي واصفا الصورة المحمدية:

أنوار حسن بدت في القلب لامعة * سترات وهي الشمس طالعة

للحق فيها ظهور عند عارفه * فليس تخفى التجليات ساطعة

إلى أن قال:

مخلوقة وهي مرآة لخالقها قريبة * قد غدت في الحكم طائعة[٥٤]

وقد ذكر ذلك النبهاني عن بعض المتصوفة كـ: عبد القادر الجزائري[٥٥]، والمغربي في مولده[٥٦]، والميرغني.[٥٧] وهذه العقيدة ذكرها القاشاني (ت٧٣٠هـ) وغيره عن المتصوفة.[٥٨]

* **زعمهم أن الجن استفاضت من ذلك النور**، ذكره النبهاني عن ابن عابدين في شرحه لمولد الهيتمي.[٥٩]

* **زعمهم أن الله أبرز الأنبياء من فيض ذلك النور**، ذكره النبهاني عن مولد المغربي.[٦٠]

* **زعمهم أن الأنبياء شربوا من النور المحمدي**، ذكره النبهاني عن عبد العزيز الدباغ أحد الأقطاب الأُمْيّين.[٦١]

* **كما زعم القطب عبد العزيز الدباغ أن النور المحمدي في ذوات الكفار ولولاه لخرجت إليهم جهنم وأكلتهم أكلا**، ذكره النبهاني في حجة الله على العالمين.[٦٢]

* **زعمهم أن ابن الفارض الشاعر خلق من النور المحمدي**، ذكره النبهاني في جواهره نقلا عن شرح النابلسي لديوان ابن الفارض – ذرية بعضها من بعض – فقال النابلسي عند قول ابن الفارض في تأيته:

وحزني ما يعقوب بثّ أقله * وكل بِلا أيوب بعض بليتي

"فالناظم من جملة من خلق من نوره ﷺ".[٦٣]

*** ومن مزاعمهم في المولد:**

١. حضوره ﷺ الموالد التي تقام.

٢. زعمهم أن مُحب النبي ﷺ لا يبلى جسده.

٣. أن الله لا يعذب قلبا أحب النبي ﷺ.

٤. زعم المالكي في أحد الاحتفالات إيمان عبد المطلب.

وقد فصلنا الكلام عليه في بحثنا: "الاحتفال بالمولد النبوي تحت المجهر".

الشبهة السابعة: السُكر الصوفي:

قال المخالف: "لسُكر يقع من الصوفي لكن سُكر من نوع خاص يسقط معه التمييز وتبقى حلاوة الإيمان، يصدر مع هذا النوع من السُكر العجيب أقوال مخالفة للشرع ومحرمة .. أنصب خيمتي على جهنم. ولكن لا جناح عليهم في ذلك". ثم ساق من كلام ابن تيمية ما نصه: "وفى مثل هذا المقام يقع السُكر الذي يسقط التمييز، مع وجود حلاوة الإيمان، كما يحصل بسكر الخمر، وسكر عشيق الصور، وكذلك قد يحصل الفناء بحال خوف أو رجاء، كما يحصل بحال حُبِّ فيغيب القلب عن شهود بعض الحقائق، ويصدر منه قول أو عمل من جنس أمور السكارى، وهي شطحات بعض المشائخ كقول بعضهم: أنصب خيمتى على جهنم، ونحو ذلك من الأقوال والأعمال المخالفة للشرع، وقد يكون صاحبها غير مأثوم، وإن لم يكن فيشبه هذا الباب أمر خفراء العدو، ومن يعين كافرا أو ظالما بحال ويزعم أنه مغلوب عليه، ويحكم على هؤلاء أن أحدهم إذا زال عقله بسبب غير محرم، فلا جناح عليهم فيما يصدر عنهم من الأقوال والأفعال المحرمة، بخلاف ما إذا كان سبب زوال العقل والغلبة أمرا محرما".[٦٤]

رد الشبهة:

يثبت المخالف المدعو بـ "النور" تعالمه هنا، حيث أخذ من كلام ابن تيمية ما وافق هواه وترك ما سواه، على الرغم أنه كان مدحا في معرض الذم، كما سيأتي سياق كلام ابن تيمية السابق، ولكنها لا تعمى الأبصار إلا أنها عميت عند المخالف،

وأذكره هنا لتوضيح ما أشكل عليه.

قال ابن تيمية ﷺ: "فناء القلب عن شهود ما سوى الرب، فذاك فناء عن الإرادة، وهذا فناء عن الشهادة، ذاك فناء عن عبادة الغير والتوكل عليه، وهذا فناء عن العلم بالغير والنظر إليه، فهذا الفناء فيه نقص، فإن شهود الحقائق على ما هي عليه، وهو شهود الرب مدبرا العبادة آمرا بشرائعه، أكمل من شهود وجوده أو صفة من صفاته أو اسممن أسمائه، والفناء بذلك عن شهود ما سوى ذلك، ولهذا كان الصحابة أكمل شهودا من أن ينقصهم شهود للحق مجملا عن شهوده مفصلا، ولكن عرض كثير من هذا لكثير من المتأخرين من هذه الأمة..".[٦٥] وفيه ذكر ابن تيمية ما نقله المخالف آنفا .. وبين أنه يقع منهم مخالفة للشرع المطهر، وذكر أنهم عقلاء المجانين وهم المرفوع عنهم القلم لسقوط الجناح والتكاليف عنهم، ولهذا قال ابن تيمية عنهم:"وكما أنه لا جناح عليهم فلا يجوز الإقتداء بهم، ولا حمل كلامهم وفعالهم على الصحة، بل هم في الخاصة مثل الغافل والمجنون في التكاليف".[٦٦]

فهذا مدح تضمن ذما، ثم عقب ابن تيمية كلامه بقوله: "ولهذا اتفق العارفون على أن حال البقاء أفضل من ذلك، وهو شهود الحقائق بإشهاد الحق كما قال الله تعالى فيما روى عنه رسوله (ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته..)، إلى أن قال: وعامة ما تجد في كتب أصحاء الصوفية مثل شيخ الإسلام ومن قبله من الفناء هو هذا، مع أنه قد يغلط بعضهم في بعض أحكامه كما تكلمت عليه في غير هذا الموضع. وفى الجملة فهذا الفناء صحيح وهو في عيسوية المحمدية، وهو شبيه بالصعق والصياح الذي حدث في التابعين، ولهذا يقع كثير من هؤلاء في نوع ضلال، لأن الفناء عن شهود الحقائق مرجعه إلى عدم العلم والشهود، وهو وصف نقص لا وصف كمال، وإنما يمدح من جهة عدم إرادة ما سواه لأن ذكر المخلوق قد يدعو إلى إرادته والفتنة به".[٦٧]

الشبهة الثامنة: مصطلحات صوفية:

قال المخالف: "قرأنا في أقوال ابن تيمية السابقة: شطحات: مُكاشفات، مريد، شيخ، وأنكر البعض أن يكون عند ابن تيمية هذا الذوق الصوفي، فماذا يقولون بأقوال ابن تيمية في العشق الإلهي: حُب، غَرام، عِشق، صَبابة، تَيم". ثم ساق من كلام ابن تيمية ما نصه: "والعبادة أصل معناها الذل أيضا يقال: طريق معبّد إذا كان مذللا قد وطئته الأقدام، لكن العبادة المأمور بها تتضمن معنى الذل ومعنى الحب، فهي تتضمن غاية الذل لله بغاية المحبة له، فإن آخر مراتب الحب هو التتيم، وأوله العلاقة

لتعلق القلب بالمحبوب، ثم الصبابة لانصباب القلب إليه، ثم الغرام وهو الحب اللازم للقلب، ثم العشق وآخرها التتيم يقال: تيم الله أي عبد الله فالمتيم المعبد لمحبوبه".[٦٨]

ثم قال المخالف: "لم أقرأ في كُتب التصوف مثل هذه المُصطلحات الذوقية. فابن تيمية صوفي ذائق".

رد الشبهة:

كون هذه الألفاظ وردت في كلام ابن تيمية ﷺ، فهي لم ترد منه على هيئة الترغيب والتأيد، أو لأنه صوفي ذائق على حد زعم المخالف المجهول، وإنما وردت في سياق التحليل، والدراسة تحت منظور الشرع المطهر، فما وافقه قُبل وما خالفه نُبذ، وبعضه ورد في الكتاب والسنة كالحب، أما التيم والعشق والصبابة فهي ألفاظ موجودة في كلام العرب قبل ظهور الصوفية عند المسلمين بقرون .. وبعض هذا الألفاظ ذكرها شيخ الإسلام رحمه في معرض النقد، من ذلك: أما الشطح: فقد قال ابن تيمية عن أهله: "غاية الصوفية المبتدعين الشطح".[٦٩] وقال أيضا: "فنصيحتي لإخواني من المؤمنين الموحدين، أن لا يقرع أبكار قلوبهم كلام المتكلمين، ولا تصغي مسامعهم إلى خرافات المتصوفين، بل الشغل بالمعايش أولى من بطالة المتصوفة، والوقوف مع الظواهر أولى من توغل المنتحلة للكلام، وقد خبرت طريقة الفريقين غاية هؤلاء الشك، وغاية هؤلاء الشطح".[٧٠]، وأما العشق في كلام ابن تيمية فقد جاء في معرض الذم أيضا حيث قال: "والناس في العشق على قولين: قيل إنه من باب الإرادات وهذا هو المشهور، وقيل من باب التصورات وأنه فساد في التخييل، حيث يتصور المعشوق على ما هو به. قال هؤلاء: ولهذا لا يوصف الله بالعشق ولا أنه يعشق لأنه منزه عن ذلك، ولا يحمد من يتخيل فيه خيالا فاسدا، وأما الأولون فمنهم من قال: يوصف بالعشق فإنه المحبة التامة، والله يُحِب ويُحَب، وروي في أثر عن عبد الواحد بن زيد أنه قال: (لا يزال عبدي يتقرب إلى يعشقني وأعشقه)، وهذا قول بعض الصوفية. والجمهور لا يطلقون هذا اللفظ في حق الله، لان العشق هو المحبة المفرطة الزائدة على الحد الذي ينبغي، والله تعالى محبته لانهاية لها فليست تنتهي إلى حد لا تنبغي مجاوزته، قال هؤلاء: والعشق مذموم مطلقا لا يمدح لا في محبة الخالق ولا المخلوق، لأنه المحبة المفرطة الزائدة على الحد المحمود، وأيضا فإن لفظ العشق إنما يستعمل في العرف، محبة الإنسان لامرأة أو صبى، لا يستعمل في محبة كمحبة الأهل والمال والوطن، والجاه ومحبة الأنبياء والصالحين، وهو مقرون كثيرا بالفعل المحرم، إما بمحبة امرأة أجنبية أو صبى يقترن به النظر المحرم، واللمس المحرم وغير ذلك من

الأفعال المحرمة".[٧١]

قال مقيده عفا الله عنه: فهذا رأي ابن تيمية ﷺ في المصطلحات الصوفية الممجوجة التي تغنّى بها المتعالم المخالف.

الشبهة التاسعة: عشق التلميذ للشيخ:

قال المخالف: "والآن هل يُوصِلْ عِشْقَ التلميذ لِشَيخِه إلى هَذا الحدْ ؟ العشق بين التلميذ والشيخ". ثم ساق جوابا لابن تيمية لسؤل، فقال: "سئل عن رجل يحب رجلا عالما، فإذا التقيا ثم افترقا حصل لذلك الرجل شبه الغشي من أجل الافتراق، وإذا كان الرجل العالم مشغولا بحيث لا يلتفت إليه لم يحصل له هذا الحال، فهل هذا من الرجل المحب، أم هو تأثير الرجل العالم؟

فأجاب: الحمد لله سببه من هذا ومن هذا، مثل الماء إذا شربه العطشان حصل له لذة وطيب، وسببها عطشه وبرد الماء، وكذلك النار إذا وقعت في القطن، سببه منها ومن القطن، والعالم المقبل على الطالب يحصل له لذة وطيب وسرور، بسبب إقبال هذا وتوجهه وهذا حال المحب مع المحبوب والله أعلم".[٧٢]

رد الشبهة:

مشكلة المخالف "العضو النور" مشكلة فهْم وتعالم، فهو يقيس كل شيء على مشربه الصوفي، كأنه أصل والكتاب والسنة فرع. وهل الحب في الله من التصوف، وهل كل من أحب آخر في الله يكون صوفيا ذائقا على زعم المخالف؟ ألم يقل رسول الله ﷺ: (أن الحب في الله من أوثق عرى الإيمان)[٧٣]، كما ذكر ﷺ أن من أحب في الله ذاق حلاوة الإيمان[٧٤]، فهل نقول أن النبي ﷺ صوفي ذائق؟؟ وهل تحاب السلف صحابة وتابعين تصوف، حاشا وكلا!

الشبهة العاشرة: الفناء:

قال المخالف: "تعلّق ابن تيمية بالصوفية المقدَّسين لديه، جعله يُترجم ما يُسمى عند كثير من متطرفي اليوم الخزعبلات، فنراه يتكلم في الشطحات والفناء، والسِّوى وغيره من المصطلحات الصوفية بكلام لم يُسبق اليه ممن خاض في هذا الفن فناء عن عبادة السِّوى. كلمات يفسّرها ابن تيمية بكلام راقي غاية في الذوق". ثم ساق من كلام ابن تيمية ما نصه: "والمعنى الذي يسمونه الفناء ينقسم ثلاثة أقسام: فناء عن عبادة السِّوى، وفناء عن شهود السِّوى، وفناء عن وجود السِّوى. فالأول: أن يفنى بعبادة الله عن عبادة ما سواه، وبخوفه عن خوف ما سواه، وبرجائه عن رجاء ما سواه، وبالتوكل عليه عن التوكل على ما سواه، وبمحبته عن محبة ما سواه، وهذا هو

حقيقة التوحيد والإخلاص الذي أرسل الله به رسله وأنزل به كتبه، وهو تحقيق لا إله إلا الله، فإنه يفنى من قلبه كل تأله لغير الله، ولا يبقى في قلبه تأله لغير الله، وكل من كان أكمل في هذا التوحيد كان أفضل عند الله".[٧٥]

رد الشبهة:

سبق وذكرنا في المقدمة أن لدى المخالف أربعة مشاكل عويصة: مشكلة الفهم، والتعالم، وبتر النصوص، وأعظم من ذلك كله جعله بفهمه القاصر التصوف أصل والكتاب والسنة فرع. فالمخالف اقتصر على ذكر النوع الأول من الفناء، وأعرض عن ذكر النوعين الآخرين لأنه يطعن في بعض أقطاب التصوف المُعَظَّمين عند الصوفية. والنوع الذي اقتصر المخالف عليه ليس له تعلق بالتصوف وأهله، وإنما هم أهل الثاني والثالث، لأن الأول هو فناء النبيين وأتباعهم وفيه قال ابن تيمية: "هذا حال النبيين وأتباعهم وهو أن يفنى بعبادة الله عن عبادة ما سواه، وبحبه عن حب ما سواه وبخشيته عن خشية ما سواه، وطاعته عن طاعة ما سواه وبالتوكل عليه عن التوكل على ما سواه، فهذا تحقيق توحيد الله وحده لا شريك له، وهو الحنيفية ملة إبراهيم، ويدخل في هذا أن يفنى عن إتباع هواه بطاعة الله، فلا يحب إلا لله ولا يبغض إلا لله ولا يعطى إلا لله ولا يمنع إلا لله فهذا هو الفناء الديني الشرعي الذي بعث الله به رسله وأنزل به كتبه".[٧٦]، فهل الصوفية موحدون؟ أم قبوريون متعلقون بالصالحين، ومشاهدهم وأضرحتهم، يصرخون بهم إلى الله ويستغيثون؟. وهم عند ابن تيمية ليسوا موحدين كما في كلامه الآتي. قال ﷺ: "والثاني: أن يفنى عن شهود ما سوى الله، وهذا الذي يسميه كثير من الصوفية حال الاصطلام والفناء والجمع ونحو ذلك، وهذا فيه فضيلة من جهة إقبال القلب على الله، وفيه نقص من جهة عدم شهوده للأمر على ما هو عليه، فإنه إذا شهد أن الله رب كل شيء ومليكه وخالقه، وأنه المعبود لا إله إلا هو الذي أرسل الرسل، وأنزل الكتب وأمر بطاعته وطاعة رسله ونهى عن معصيته ومعصية رسله، فشهد حقائق أسمائه وصفاته وأحكامه خلقا وأمرا، كان أتم معرفة وشهودا وإيمانا وتحقيقا من أن يفنى بشهود معنى عن شهود معنى آخر، وشهود التفرقة في الجمع والكثرة في الوحدة وهو الشهود الصحيح المطابق، لكن إذا كان قد ورد على الإنسان ما يعجز معه عن شهود هذا وهذا، كان معذورا للعجز لا محمودا على النقص والجهل.

والثالث: الفناء عن وجود السِّوى وهو قول الملاحدة أهل الوحدة، كصاحب الفصوص وأتباعه الذين يقولون: وجود الخالق هو وجود المخلوق، وماثم غير ولا سوى في نفس

الأمر، فهؤلاء قولهم أعظم كفرا من قول اليهود والنصارى وعباد الأصنام".[٧٧]

وقال ابن تيمية عن أهل النوع الثاني في موطن آخر: "وأما الثاني: وهو الفناء عن شهود السوى، فهذا هو الذي يعرض لكثير من السالكين كما يحكى عن أبى يزيد وأمثاله، وهو مقام الاصطلام، وهو أن يغيب بموجوده عن وجوده وبمعبوده عن عبادته، وبمشهوده عن شهادته وبمذكوره عن ذكره، فيفنى من لم يكن ويبقى من لم يزل، وهذا كما يحكى أن رجلا كان يحب آخر فألقى المحبوب نفسه في الماء، فألقى المحب نفسه خلفه فقال: أنا وقعت فلم وقعت أنت؟ فقال: غبت بك عني فظننت أنك أني، فهذا حال من عجز عن شهود شيء من المخلوقات، إذا شهد قلبه وجود الخالق وهو أمر يعرض لطائفة من السالكين، ومن الناس من يجعل هذا من السلوك ومنهم من يجعله غاية السلوك، حتى يجعلوا الغاية هو الفناء في توحيد الربوبية، فلا يفرقون بين المأمور والمحظور والمحبوب والمكروه، وهذا غلط عظيم غلطوا فيه بشهود القدر، وأحكام الربوبية عن شهود الشرع والأمر والنهى، وعبادة الله وحده وطاعة رسوله، فمن طلب رفع إنيته بهذا الاعتبار لم يكن محمودا على هذا ولكن قد يكون معذورا".[٧٨]

قال مقيده عفا الله عنه: ولو أردت الاستفاضة في بيان أن الصوفية هم من النوع الثاني عند ابن تيمية لخرجنا عن المقصود في الإبانة، وفيما ذكرنا كفاية واللبيب تكفيه الإشارة.

الشبهة الحادية عشر: علم الغيب:

قال المخالف: "سمّها ما شئت فراسة أم كرامة! العلم بما في اللوح المحفوظ لم يتفرّد به الصوفية وحدهم؟ فهذا ابن تيمية يخبر بما في اللوح المحفوظ: كتب الله تعالى في اللوح المحفوظ أنهم مهزومون في هذه الكرّة، نعم النصر قد وُعد به المؤمنون، ولكن نظرة على قوله: (هذه الكرّة) تُبيّن دقة تفاصيل هذه المعرفة، ولا نعجب من هذا فمثل هذه المعارف تقع لابن تيمية مثل المطر". ثم نقل من كلام ابن القيم في شيخ الإسلام ما نصه: "ولقد شاهدت من فراسة شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ أمورا عجيبة، وما لم أشاهده منها أعظم وأعظم، ووقائع فراسته تستدعي سِفرا ضخما، أخبر أصحابه بدخول التتار الشام سنة تسع وتسعين وستمائة، وأن جيوش المسلمين تكسر، وأن دمشق لا يكون بها قتل عام ولا سبي عام، وأن كَلَبَ الجيش وحدِّته في الأموال، وهذا قبل أن يهم التتار بالحركة، ثم أخبر الناس والأمراء سنة اثنتين وسبعمائة لما تحرك التتار وقصدوا الشام، أن الدائرة والهزيمة عليهم وأن الظفر والنصر للمسلمين، وأقسم على ذلك أكثر من سبعين يمينا، فيقال له: قل إن شاء الله!

فيقول: إن شاء الله تحقيقا لا تعليقا، وسمعته يقول ذلك، قال: فلما أكثروا علي، قلت: لا تكثروا، كتب الله تعالى في اللوح المحفوظ أنهم مهزومون في هذه الكَرّة، وأن النصر لجيوش الإسلام! قال: وأطعمت بعض الأمراء والعسكر حلاوة النصر قبل خروجهم إلى لقاء العدو، وكانت فراسته الجزئية في خلال هاتين الواقعتين مثل المطر".[٧٩]

رد الشبهة:

أورد المخالف علينا ما لم يرد، وهذا قصور قبيح من المخالف، فمصطلح الفراسة مصطلح إسلامي شرعي قُحّ، ورد في الكتاب والسنة المطهرة، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ (الحجر:٧٥)، وقال ﷺ: (اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله ثم قرأ: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ (الحجر: ٧٥). وقال الإمام الترمذي ﷺ: "وقد روي عن بعض أهل العلم في تفسير هذه الآية ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ قال: للمتفرسين".[٨٠] وليس بمصطلح صوفي وأساسها قول الله عز وجل في الحديث القدسي الجليل: (من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها وإن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته).[٨١]

والفراسة علم قائم بذاته وفيه صنف علماؤنا، قال العلامة القنوجي: "عدّه صاحب مفتاح السعادة من فروع العلم الطبيعي، وقال: هو علم تعرف منه أخلاق الناس من أحوالهم الظاهرة من الألوان والأشكال والأعضاء وبالجملة الاستدلال بالخَلق الظاهر على الخُلق الباطن وموضوعه ومنفعته ظاهران".[٨٢]

قال ابن تيمية: "من المعلوم أن أهل الحديث يشاركون كل طائفة فيما يتحلّون به من صفات الكمال، ويمتازون عنهم بما ليس عندهم، فإن المنازع لهم لا بد أن يذكر فيما يخالفهم فيه طريقا أخرى، مثل المعقول والقياس والرأي والكلام والنظر والاستدلال، والمحاجة والمجادلة والمكاشفة والمخاطبة والوجد والذوق ونحو ذلك، وكل هذه الطرق لأهل الحديث صفوتها وخلاصتها، فهم أكمل الناس عقلا وأعدلهم قياسا وأصوبهم رأيا، وأسدهم كلاما وأصحهم نظرا وأهداهم استدلالا، وأقومهم جدلا وأتمهم فراسة وأصدقهم إلهاما، وأحدّهم بصرا ومكاشفة، وأصوبهم سمعا ومخاطبة، وأعظمهم وأحسنهم وجْدا وذوقا، وهذا هو للمسلمين بالنسبة إلى سائر الأمم، ولأهل السنة

والحديث بالنسبة إلى سائر الملل".[٨٣]

قال مقيده عفا الله عنه: ولا شك أن ابن تيمية ﷺ من كبار أئمة أهل الحديث، روى الخطيب بسنده فقال: "كان أبو حنيفة حسن الفراسة! فقال لداود الطائي: أنت رجل تتخلى للعبادة! وقال لأبي يوسف: تميل إلى الدنيا! وقال لزفر وغيره كلاما فكان كما قال".[٨٤] فهل أبو حنيفة يعلم الغيب؟؟ أم أنه يندرج تحت ما ذكره ابن تيمية آنفا. وأما قول ابن القيم عنه: "كتب الله تعالى في اللوح المحفوظ أنهم مهزومون في هذه الكَرّة وأن النصر لجيوش الإسلام". فهذا من باب حسن الظن بالله القائل: ﴿إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ* وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ (الصافات: ١٧٢)، وليس من باب الإطلاع على ما في اللوح المحفوظ، والذي للصوفية فيه باع طويل.

الشبهة الثانية عشر: خروج من القبر:

قال المخالف: "رُؤية الموتى يخرجون بأبدانهم من قُبورهم، يقعدون في قبورهم، رُؤية أثر العذاب عليهم، أُمور برزخية تظهر في عالم الشهادة .. نعم .. لم يتفرد الصوفية بذلك".ثم ساق من كلام ابن تيمية ما نصه: "وإذا عرف أن النائم يكون نائما وتقعد روحه، وتقوم وتمشى وتذهب وتتكلم، وتفعل أفعالا وأمورا بباطن بدنه مع روحه، ويحصل لبدنه وروحه بها نعيم وعذاب، مع أن جسده مضطجع وعينيه مغمضة وفمه مطبق، ويتكلم ويصيح لقوة الأمر في باطنه، كان هذا مما يعتبر به أمر الميت في قبره، فإن روحه تقعد وتَجلس وتُسأل وتنعّم وتعذّب وتصيح، وذلك متصل ببدنه مع كونه مضطجعا في قبره، وقد يقوى الأمر حتى يظهر ذلك في بدنه، وقد يُرى خارجا من قبره والعذاب عليه وملائكة العذاب موكلة به، فيتحرك بدنه ويمشى ويخرج من قبره، وقد سمع غير واحد أصوات المعذبين في قبورهم، وقد شوهد من يخرج من قبره وهو معذب ومن يقعد بدنه أيضا إذا قوى الأمر، لكن هذا ليس لازما في حق كل ميت، كما أن قعود بدن النائم لما يراه ليس لازما لكل نائم، بل هو بحسب قوة الأمر".[٨٥]

رد الشبهة:

في كلام ابن تيمية أمور:

أولا: قعود الميت في قبره.

قعود الميت في قبره ورد في السنة الصحيحة أحاديث تثبت ذلك، منها:

– حديث أنس ﷺ عن النبي ﷺ قال: (العبد إذا وضع في قبره وتُوُلِّي وذهب أصحابه حتى إنه ليسمع قرع نعالهم أتاه ملكان فأقعداه فيقولان له ...الحديث).[٨٦]

– وحديث البراء بن عازب ﷺ عن النبي ﷺ قال: (إذا أُقعِد المؤمن في قبره أتي ثم شهد أن لا إله إلا الله ...الحديث).[٨٧]

ثانيا: خروج الميت من قبره وسماع صوته ورؤيته.

أما رؤية الميت خارج قبره، فليس هو شأن صوفي كما زعم المخالف، فقد وردت عدة روايات في ذلك لا تخلوا من مقال، قبل أن تُعرف الصوفية في المسلمين العرب، وهو ما اعتمده ابن تيمية، وإن كان ابن تيمية نفسه ذهب إلى أن هذا الخارج قد يكون جنيا كما سيأتي، وأقول: الروايات في هذا الباب أكثر من رواها ابن أبي الدنيا في كتابه "من عاش بعد الموت"، واللالكائي في "شرح اعتقاد أهل السنة". فعن سالم بن عبد الله عن أبيه قال: (خرجت مرة لسفر، فمررت بقبر من قبور الجاهلية، فإذا رجل قد خرج من القبر يتأجج نارا في عنقه سلسلة من نار، ومعي إداوة من ماء، فلما رآني قال: يا عبد الله اسقني! قال: فقلت: عرفني ودعاني باسمي، أو كلمة تقولها العرب: (يا عبد الله) إذ خرج على إثره رجل من القبر، فقال: يا عبد الله لا تسقه فإنه كافر، ثم أخذ السلسلة فاجتذبه وأدخله القبر، قال: ثم أضافني الليل إلى بيت عجوز إلى جانب بيتها قبر، فسمعت من القبر صوتا يقول: بول وما بول، شن وما شن! فقلت للعجوز: ما هذا؟ قالت: هذا كان زوجا لي وكان إذا بال لم يتق البول، وكنت أقول له: ويحك إن الجمل إذا بال تفَاجّ[٨٨] فكان يأبى، فهو ينادي منذ يوم مات: بول وما بول. قلت: فما الشن؟ قالت: جاءه رجل عطشان، فقال: اسقني! فقال: دونك الشن فإذا ليس فيه شيء فخر الرجل ميتا، فهو ينادي منذ يوم مات شن وما شن. فلما قدمت على رسول الله ﷺ أخبرته فنهى أن يسافر الرجل وحده).[٨٩] وهي قصة فيها مقال، رواها عن سالم عن أبيه بنحو ما سبق ابن عبد البر في التمهيد، واللالكائي في شرح اعتقاد أهل السنة.[٩٠]

قال ابن عبد البر بعد أن أورد القصة في التمهيد بسنده عن ابن أبي الدنيا: "هذا الحديث ليس له إسناد، ورواته مجهولون، ولم نورده للاحتجاج به ولكن للاعتبار، وما لم يكن فيه حكم فقد تسامح الناس في روايته عن الضعفاء والله المستعان".[٩١] وذكره الذهبي عن ابن عمر ﷺ بنحو ما سبق مختصرا براو متروك ووافقه ابن حجر.[٩٢]

ثالثا: ختم ابن تيمية كلامه بقوله: "لكن هذا ليس لازما في حق كل ميت! كما أن قعود بدن النائم لما يراه ليس لازما لكل نائم! بل هو بحسب قوة الأمر!".

وفي هذا تنبيه للمعترض ذهل عنه؟ وفيه يقرر ابن تيمية أن من تألّف هذا

الأمر، فإنه من فعل الشيطان وأكثر من تعلق به الصوفية، وربما يكون هذا تناقضا أو رجوعا من ابن تيمية، أو يكون مدسوسا عليه لورود ما يخالفه من قوله في مواطن، قال ﷺ: "فرؤيا الأنبياء في المنام حق، وأما رؤية الميت في اليقظة فهذا جني تمثل في صورته، وبعض الناس يسمي هذا روحانية الشيخ، وبعضهم يقول: هي رفيقه وكثير من هؤلاء يُرى يقوم من مكانه ويدع في مكانه صورة مثل صورته، وكثير من هؤلاء ومن هؤلاء من يقول: يُرى في مكانين ويُرى واقفا بعرفات، وهو في بلده لم يذهب فيبقى الناس الذين لا يعرفون حائرين، فإن العقل الصريح يعلم أن الجسم الواحد لا يكون في الوقت الواحد في مكانين، والصادقون قد رأوا ذلك عيانا لا يشكون فيه، ولهذا يقع النزاع كثيرا بين هؤلاء وهؤلاء، كما قد جرى ذلك غير مرة وهذا صادق فيما رأى وشاهد، وهذا صادق فيما دل عليه العقل الصريح، لكن ذلك المرئي كان جنيا تمثل بصورة الإنسان، والحسيات إن لم يكن معها عقليات تكشف حقائقها وإلا وقع فيها غلط كبير".[٩٣]، وقال أيضا: "وقد يرى القبر انشق وخرج منه صورة إنسان، فيظن أن الميت نفسه خرج من قبره، أو أن روحه تجسدت وخرجت من القبر، وإنما ذلك جني تصور في صورته ليضل ذلك الرائي، فإن الروح ليست مما تكون تحت التراب وينشق عنها التراب، فإنها وإن كانت قد تتصل بالبدن فلا يحتاج في ذلك إلى شق التراب، والبدن لم ينشق عنه التراب وإنما ذلك تخييل من الشيطان، وقد جرى مثل هذا لكثير من المنتسبين إلى المسلمين وأهل الكتاب والمشركين، ويظن كثير من الناس أن هذا من كرامات عباد الله الصالحين، ويكون من إضلال الشياطين، كما قد بسط الكلام في هذا الباب في غير هذا الكتاب، مثل: الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، وغير ذلك".[٩٤]

الشبهة الثالثة عشر: نقد الألباني للشيخ:

قال المخالف: "هل يصل الألباني إلى هذا الحد من الطعن في ابن تيمية والسلفية؟ الألباني ساخراً من السلفية: أرد على ابن تيمية قوله بفناء النار ولا أُداريه! ولا أُقلّدة كما يفعل السلفية .. بل أُقلّد رسول الله". ثم نقل نقد الشيخ الألباني لابن تيمية رحمهما الله في مسألة فناء النار، ما نصه: "وهذا هو السبب الذي يحملني على أن لا أحابي في ذات الله أبا، أو أداري في دين الله أحدا، فترانا هنا نرد على شيخ الإسلام ابن تيمية قوله بفناء النار، ولا نداريه مع عظمته في نفوسنا وجلالته في قلوبنا، فضلا عن أننا لا نقلده في ديننا خلافا لما عليه عامة المقلدة، الذين يحملهم إجلالهم لإمامهم على تقليده ونبذ قول كل من خالف، حتى ولو كان المخالف هو النبي محمدا ﷺ بديل

أن يتخذوه وحده قدوة، ولا يشركوا معه في ذلك أحدا كما هو الواجب، بل إنهم ليصرحون بخلاف ذلك، كما قال أحدهم اليوم في كتيب له: (أفلا يحق لنا أن نعتبر من واقع غيرنا –يعني السلفيين– فنثبت عند أقوال الإمام الذي يسر الله تعالى لنا الاقتداء به منذ أول نشأتنا). ونحن نقول بقول رب العالمين في القرآن الكريم: ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾ (البقرة: ٦١)؟ فأين أنت يا هذا من قوله تبارك وتعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ (الأحزاب: ٢١)؟ وغير ذلك من النصوص التي توجب على كل مسلم اتباعه ﷺ دون سواه ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ (آل عمران: ٣١)، ولكن ﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾ (النور: ٤٠).".[٩٥]

الرد على الشبهة:

قال مقيده عفا الله عنه: وماذا في نقد الألباني، فليس ابن تيمية بمعصوم، كما أنه لامانع من وجود من يتعصب لابن تيمية ولا يحيد عن أقواله، وهذا ظاهر في تراث الأمة، ولا يخفى مقلِّدة المذاهب الإسلامية كالأئمة الأربعة، والأشاعرة، وأصحاب الطرق الصوفية بالخصوص، وتقيّدهم بنصوص مشايخهم. وليس كل عالم ملزم بإتباع إمام بعينه، إذا تحصلت عنده الملكة العلمية في معرفة الأقوال والاستدلالات والتميز بينها. ورد الألباني على ابن تيمية وصراحته، سلفه فيها: حَبر الأمة ابن عباس ﷺ، القائل في أمر متعة الحج وفسخه بعمرة: "ما أراكم إلا سيخسف الله بكم الأرض أقول لكم: قال رسول الله ﷺ ! وتقولون: قال أبو بكر وعمر". وقول ابن المديني في أبيه أنه ضعيف في الحديث لما سُئل عنه، روى ذلك ابن حبان فقال: "سئل علي بن المديني عن أبيه؟ فقال: اسألوا غيري، فقال: سألناك فأطرق ثم رفع رأسه وقال: هذا هو الدين أبي ضعيف".[٩٦]، فهل يستطيع المخالف نقد أقطاب التصوف، وبيان ماهم عليه من ضلال، كقولهم بوحدة الوجود والحلول والإتحاد، وتأنيث الذات الإلهية، وتأنيث الشخصية النبوية وتأليهها، وأن النور المحمدي أصل الكائنات، إلى غير ذلك من العقائد الباطلة والتي ذكرنا كثيرا منها في منتدى الصوفية[٩٧]، جزى الله القائمين عليه خيرا؟ وليس هذا موضع تفصيلها. أليست الطُّرقِّية تربي مريدها على الطاعة العمياء، وأن يكون المريد بين يدي شيخه كالميت بين يدي الغاسل، وألا يعترض على شيخه حتى لو كان يعمل المنكر، وكم في ذلك من قصص ممجوج.

الشبهة الرابعة عشر: النصيحة الذهبية:

قال المخالف: "رسالة الذهبي لابن تيمية ثابتة لا يُنكرها إلا مُعاند ..." ثم

ساق كلاما للدكتور بشار عواد فقال: "يقول الدكتور المُحقق السلفي بشّار عواد معروف، في كتابه (الذهبي ومنهجه في كتابه تاريخ الإسلام)، وهو يتحدّث عن إنفراد السخاوي بذكر بعض آثار الذهبي: وهو الوحيد الذي أشار إلى رسالة الذهبي إلى ابن تيمية، مما وثّق نسبتها إليه لا سيما وقد شك فيها غير واحد، ثم أوردها في عدد آثاره، ونقل كلام السخاوي وقال: "وذهب بعضهم إلى القول بأنها مزورة، ولا عبرة بذلك. وكرر ذلك في مقدمته على سير أعلام النبلاء قائلاً: وأرسل إليه نصيحته الذهبية التي يلومه وينتقد بعض آرائه وآراء أصحابه بها".

وكذلك ألحق الدكتور المحقق صلاح الدين المنجد النصيحة بكتابه (شيخ الإسلام ابن تيمية سيرته وأخباره عند المؤرخين)، قال مُعلّقاً عليها: "شك بعضهم في نسبة هذه النصيحة للذهبي، ولا شك عندنا أنها له، فقد نقلت مخطوطاتها من خط الذهبي، ولم يُنكرها أحد من العلماء الذين نقلوها كتقي الدين ابن قاضي شبهة وغيره، ثم إن هذا أُسلوب الذهبي عندما يُهاجم، ويبدو أنه كتبها في آخر عمره، ولم يثن أحد على الشيخ كثناء الذهبي عليه، لكنه انتقده بعد ذلك في بعض الأمور حباً له، وإشفاقاً عليه".

ثم قال المخالف: بعد أن وضّحنا بما لا يدع مجالاً للشك نسبة الرسالة للذهبي نسرد هذه الرسالة ثم نناقش ما ذُكر فيها بإنصاف. **نص الرسالة:** (بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله على ذلتي، يا رب ارحمني وأقلني عثرتي، واحفظ عليَّ إيماني، واحزناه على قلة حزني، وأأسفاه على السنة وذهاب أهلها، واشوقاه إلى إخوان مؤمنين يعاونونني على البكاء، واحزناه على فقد أناس كانوا مصابيح العلم وأهل التقوى وكنوز الخيرات، آه على وجود درهم حلال وأخ مؤنس. طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس، وتَبًّا لمن شغله عيوب الناس عن عيبه، إلى كم ترى القذاة في عين أخيك وتنسى الجذع في عينك؟ إلى كم تمدح نفسك وشقاشقك وعباراتك وتذم العلماء، وتتبع عورات الناس مع علمك بنهي الرسول ﷺ: (لا تذكروا موتاكم إلا بخير فإنهم قد أفضوا إلى ما قدموا)، بلى أعرفُ إنك تقول لي لتنصُرَ نفسك: إنما الوقيعة في هؤلاء الذين ما شمّوا رائحة الإسلام، ولا عرفوا ما جاء به محمد ﷺ وهو جهاد، بلى والله عرفوا خيرًا مما إذا عمل به العبد فقد فاز، وجهلوا شيئًا كثيرًا مما لا يعنيهم، "ومن حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه". يا رجل بالله عليك كفَّ عنَّا فإنك مِحجاجٌ عليم اللسان لا تقرّ ولا تنام، إياكم والأغلوطات في الدين، كره نبيك ﷺ المسائل وعابها، ونهى عن كثرة السؤال وقال: (إن أخوف ما أخاف على أمتي كل منافق عليم

اللسان)، وكثرة الكلام بغير دليل تقسي القلب، إذا كان في الحلال والحرام، فكيف إذا كان في العبارات اليونسية والفلاسفة، وتلك الكفريات التي تعمي القلوب؟ والله قد صرنا ضحكة في الوجود، فإلى كم تنبشُ دقائق الكفريات الفلسفية لنردَّ عليها بعقولنا، يا رجل قد بلعتَ سموم الفلاسفة ومصنفاتهم مرات، وبكثرة استعمال السموم يُدمن عليها الجسم وتكمن والله في البدن. واشوقاه إلى مجلس فيه تلاوة بتدبر، وخشية بتذكر وصمت بتفكر، واهًا لمجلس يُذكرُ فيه الأبرار فعند ذكر الصالحين تنزل الرحمة، لا عند ذكر الصالحين يُذكرون بالازدراء واللعنة، كان سيف الحجاج ولسان ابن حزم شقيقين فواخَيتَهما، بالله خلُّونا من ذكر بدعة الخميس وأكل الحبوب، وجدوا في ذكر بدع كنا نعدها رأسًا من الضلال قد صارت هي محض السنة وأساس التوحيد، ومن لم يعرفها فهو كافر أو حمار، ومن لم يكفّر فهو أكفر من فرعون، وتعد النصارى مثلنا، والله في القلوب شكوك إن سَلِمَ لكَ إيمانك بالشهادتين فأنت سعيد. يا خيبة من اتبعك فإنه مُعَرَّضٌ للزندقة والانحلال، ولا سيما إذا كان قليل العلم والدين باطوليًّا شهوانيًّا لكنه ينفعك ويجاهد عنك بيده ولسانه وفي الباطن عدو لك بحاله وقلبه، فهل معظم أتباعك إلا قعيدٌ مربوط خفيف العقل، أو عامي كذّاب بليد الذهن، أو غريب واجم قوي المكر، أو ناشف صالح عديم الفهم، فإن لم تصدقني ففتشهم وزنهم بالعدل. يا مسلم أقدم حمار شهوتك لمدح نفسك، إلى كم تصادقها وتعادي الأخيار؟ إلى كم تصدقها وتزدري بالأبرار، إلى كم تعظمها وتصغر العباد، إلى متى تُخاللها وتمقت الزهاد، إلى متى تمدح كلامك بكيفية لا تمدح بها والله أحاديث الصحيحين، يا ليت أحاديث الصحيحين تسلم منك بل في كل وقت تُغيرُ عليها بالتضعيف والإهدار، أو بالتأويل والإنكار. أما آن لك أن ترعوي؟ أما حان لك أن تتوب وتنيب، أما أنت في عشر السبعين وقد قرب الرحيل. بلى والله ما أذكر أنك تذكر الموت بل تزدري بمن يذكر الموت، فما أظنك تقبل على قولي ولا تُصغي إلى وعظي بل لك همة كبيرة في نقض هذه الورقة بمجلدات، وتقطع لي أذناب الكلام، ولا تزال تنتصر حتى أقول لكَ: والبتة سكتت. فإذا كان هذا حالك عندي وأنا الشفوق المحبُّ الواد، فكيف يكون حالك عند أعدائك، وأعداؤك والله فيهم صلحاء وعقلاء وفضلاء، كما أن أولياءك فيهم فجرة وكذبة، وجهلة وبطلة وعور وبقر. قد رضيتُ منك بأن تسبني علانية وتنتفع بمقالتي سرًّا:رحم الله امرءًا أهدى إلي عيوبي، فإني كثير العيوب غزير الذنوب، الويل لي إن أنا لا أتوب، ووافضيحتي من علاّم الغيوب، ودوائي عفو الله ومسامحته وتوفيقه وهدايته، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين، وعلى

آله وصحبه أجمعين).

ثم قال المخالف: بعد أن سردنا هذه الرسالة سوف نُحاول أن نخُوض في بحار هذه النُصوص حتى نعرف كيف أصبح تلميذ الأمس هو خصم اليوم.

رد الشبهة:

طار بهذه الرسالة فرحا خصوم ابن تيمية ﷺ من الخلف والسلف، دون تدبر أو تحقيق، وهي في الحقيقة غير صحيحة النسبة للذهبي لأمور عدة واضحة وضوح الشمس في رابعة النهار، وعجبت كيف فاتت الدكتور المحقق بشار عواد الذي أصر على موقفه الباهت في صحة نسبتها له[٩٨]، ومضمونها وعباراتها تتنافى تماما وأسلوب الحافظ الذهبي الواضح في كتبه، وخصوصا عند تطرقه للكلام على ابن تيمية. والذهبي انتقد ابن تيمية بوضوح، لكن لم يكن بهذه الصورة الممجوجة، والتي لا تصدر عن عالم مرموق له مكانته كالذهبي، ولو قلنا بها واعتقدنا ما فيها لحكمنا على الذهبي بالجهالة بابن تيمية، لما فيها من عبارات تدل على جهل قائلها بابن تيمية ومنهجه العلمي، والذهبي من ألصق الناس به وأعلم أهل عصره بمنهجه العلمي.

وهناك عدة أمور تجعلك ترد نسبة هذه الرسالة للذهبي فضلا عن أن تشك فيها، وهذه الأمور هي:

أولا: انتقد الذهبي ابن تيمية صراحة انتقاد الناصح البصير، وأقواله فيه تُنبيك عن كذب عبارات هذه الرسالة المنحولة الموسومة بالنصيحة، من ذلك قوله فيه: "ومن خالطه وعرفه فقد ينسبني إلى التقصير فيه، ومن نابذه وخالفه قد ينسبني إلى التغالي فيه، وقد أوذيت من الفريقين من أصحابه وأضداده".[٩٩] ومما يثبت معرفة الذهبي الدقيقة به وبعلمه قوله: "كان شيخنا ابن تيمية في أواخر أيامه يقول: أنا لا أكفر أحدا من الأمة، ويقول: قال النبي ﷺ: (لا يحافظ على الوضوء إلا مؤمن)، فمن لازم الصلوات بوضوء فهو مسلم".[١٠٠] والرسالة المنحولة زعموا أن الذهبي كتبها في آخر عمره، ومما قاله الذهبي فيه: "وأنا لا أعتقد فيه عصمة بل أنا مخالف له في مسائل أصلية وفرعية، فإنه كان مع سعة علمه، وفرط شجاعته وسيلان ذهنه، وتعظيمه لحرمات الدين بشرا من البشر، تعتريه حدة في البحث وغضب وشظف للخصم تزرع له عداوة في النفوس، وإلا لو لاطَف خصومه لكان كلمة إجماع، فإن كبارهم خاضعون لعلومه، معترفون بشنوفه مقرون بندور خطئه، وأنه بحر لا ساحل له وكنز لا نظير له ولكن ينقمون عليه أخلاقا وأفعالا، وكل أحد يؤخذ من قوله ويترك".[١٠١]

ثانيا: تفرد السخاوي بذكرها، على الرغم من تقصيه في التاريخ والتراجم، وابن حجر

وهو أعلم منه والذي استفاض في ترجمة ابن تيمية في الدرر، ناقلا أغلبه من وصف الذهبي لم يشر إلى هذه الرسالة البتة، كما ترجم للذهبي ولم يذكرها، كما لم تُفهم من أقوال الذهبي في ابن تيمية أنه ناصحه برسالة، على رغم انتقاده له في مواطن.

ثالثا: بعض العبارات الركيكة التي وردت في الرسالة تقدح في صحة نسبتها للذهبي لما فيها من قدح في مكانته العلمية العالية.

رابعا: خلو الرسالة من اسمابن تيمية أو حتى الإشارة إلى ما يفهم منها أنها له وأنه المعني بما فيها، كما هو معروف من أسلوب الذهبي في وصف ابن تيمية؟.

خامسا: وجود عبارة مركبة من حديثين في الرسالة على أنها حديث نبوي، يطعن في مكانة الذهبي وأنه من حفاظ الحديث ونقاده.

سادسا: عبارات وردت في الرسالة تطعن في علم الذهبي، ومكانته العلمية ومعرفته الوثيقة بابن تيمية ومنهجه العلمي كما سيأتي بيانه، وإن أصر مخالفنا على نسبتها له دون دليل مادي واضح ملموس، وعلم الذهبي وأسلوبه في تراجمه ومؤلفاته يرفض هذه الرسالة، وهذه العبارات هي:

* قوله: (وأأسفاه على السنة وذهاب أهلها).

قال مقيده عفا الله عنه: تحسر الذهبي على ذهاب السنة وأهلها، وكأن ابن تيمية ليس منهم، بسبب ما صدر منه مما لم يرضه الذهبي –افتراضا–. وأقول: إن لم يكن ابن تيمية من أهل السنة الأقحاح في نظر الذهبي وغيره فمن يكون؟، ألم يقل الذهبي فيه: "وبرع في علوم الآثار والسنن" وذكر عن أبي الفتح اليعمري قوله: "وكاد يستوعب السنن والآثار حفظا... إلى أن قال: أو ذكر الحديث فهو صاحب علمه وذو رايته".[١٠٢] وقال ابن حجر عن ابن تيمية: "وقرأ بنفسه ونسخ سنن أبي داود وحصل الأجزاء ونظر في الرجال والعلل".[١٠٣] فهل يعقل إخراج الذهبي لابن تيمية من أهل السنة؟

* وقوله: "وتَبًّا لمن شغله عيوب الناس عن عيبه، إلى كم ترى القذاة في عين أخيك وتنسى الجذع في عينك؟ إلى كم تمدح نفسك وشقاشقك وعباراتك، وتذم العلماء وتتبع عورات الناس، مع علمك بنهي الرسول ﷺ: (لا تذكروا موتاكم إلا بخير، فإنهم قد أفضوا إلى ما قدموا).".

قال مقيده عفا الله عنه: وهنا أمران:

الأول: هذا تعريض من الذهبي –افتراضا– بابن تيمية وردوده على المخالفين، وهي في نظره عيوب يجب أن لا يشغل ابن تيمية نفسه بها، ولو صح هذا من الذهبي

لكان من أكبر القوادح في ديانته، وانعدام غيرته على شعائر الله وحرماته، وإنكاره على منكري المنكر، وبيان أهله والتحذير منهم وفضحهم، وحاشاه ﷺ أن يقف هذا الموقف المشين، ويستقبح من ابن تيمية ما فعله هو، فكم ذكر أناسا مخالفين في العقيدة وبين فساد طريقتهم في كتبه كالميزان وغيره، من باب بيان الحق والنصيحة لدين الله؟، ومما وصف الذهبي ابن تيمية به قوله: "كان موصوفا بفرط الشجاعة والكرم، فارغا عن شهوات المأكل والملبس والجماع، لا لذة له في غير نشر العلم وتدوينه والعمل بمقتضاه".[١٠٤]، فهل مثل هذا العالم الإمام مشتغل بتتبع عورات الناس؟؟

الثاني: وهو أقبح من الأول، ذِكر الذهبي –افتراضا– عبارة: (لا تذكروا موتاكم إلا بخير فإنهم قد أفضوا إلى ما قدموا)، على أنها حديث نبوي، مما ينبئ عن جهله بالحديث ومتونه، وحاشاه وهو الحافظ للحديث وطرقه وعلله، والمميز لصحيحه من ضعيفه وموضوعه، والناقد البصير برجاله جرحا وتعديلا، إذا هذا لا يصدر إلا عن مُخَلّط في الأحاديث، لا يصل علمه عشر معشار علم الذهبي ﷺ، وهذه العبارة ليست حديثا بل مركبة من حديثين: الأول: حديث: (لا تذكروا موتاكم إلا بخير).[١٠٥] الثاني: حديث (فإنهم قد أفضوا إلى ما قدموا)، وهو حديث ناقص من أوله وتتمته: (لا تسبوا الأموات ...).[١٠٦] فيا ترى هل وصل الحال بالذهبي إلى حد عدم التميز بين النصوص الحديثية وتركيبها؟.

* وقوله: "بلى أعرفُ إنك تقول لي لتنصُرَ نفسك: إنما الوقيعة في هؤلاء الذين ما شمّوا رائحة الإسلام ولا عرفوا ما جاء به محمد ﷺ وهو جهاد".

يذكر الذهبي –افتراضا– على لسان ابن تيمية تبريره الوقيعة في العلماء، والتي هي في نظر الذهبي –افتراضا – كما سبق خوض في عورات الناس.

فيا ترى من هم الذين اتهم الذهبي ابن تيمية الوقيعة بهم؟، وهل يعقل أن يقول الذهبي في بعضهم ما عابه على ابن تيمية، ألم يقل الذهبي عن أبي هاشم الجبائي: "وأما أبو هاشم الجبائي وأبوه أبو علي فمن رؤوس المعتزلة، ومن الجهلة بآثار النبوة برعوا في الفلسفة والكلام، وما شموا رائحة الإسلام، ولو تغرغر أبو سعيد بحلاوة الإسلام لانتفع بالحديث، فنسأل الله تعالى أن يحفظ علينا إيماننا وتوحيدنا".[١٠٧]

فهذا وأمثاله كابن سينا وابن عربي وابن الفارض وابن سبعين، من ملاحدة المسلمين ممن بين عوارهم ابن تيمية، وللذهبي فيهم كلام على نمط ما قاله ابن تيمية. ذكر الذهبي عن نصر بن زكريا باسبيجاب[١٠٨] أنه قال: "سمعت محمد بن

يحيى الذهلي سمعت يحيى بن معين يقول: الذب عن السنة أفضل من الجهاد في سبيل الله! فقلت ليحيى: الرجل ينفق ماله ويتعب نفسه ويجاهد فهذا أفضل منه؟ قال: نعم، بكثير".[١٠٩]، فهل يتناقض الحافظ الذهبي إلى هذا الحد، وحاشاه ﷺ؟ فهذا يدل على أن الرسالة كتبت لشخص وقع في أعراض العلماء الصالحين غير ابن تيمية، من غير الذهبي.

* وقوله: "يا رجل بالله عليك كفَّ عنَّا، فإنك مِحجاجٌ عليم اللسان، لا تقرّ ولا تنام، إياكم والأغلوطات في الدين". ومما يكشف زيف هذه الرسالة اتهام الذهبي –افتراضا– لابن تيمية بالأغلوطات في الدين ثم يصفه بقوله: "فريد العصر علما ومعرفة وذكاء وحفظا وكرما، وزهدا وفرط شجاعة وكثرة تأليف، والله يصلحه ويسدده فلسنا بحمد الله ممن نغلو فيه ولا نجفو عنه، ما رُئي كاملا مثل أئمة التابعين وتابعيهم فما رأيته إلا ببطن كتاب".[١١٠] وقال أيضا: "وهو بشر له ذنوب وخطأ، ومع هذا فوالله ما مَقَلا عيني مثله، ولا رأى هو مثل نفسه، كان إماما متبحرا في علوم الديانة، صحيح الذهن سريع الإدراك سيال الفهم".[١١١] فهل من هذا وصفه يتهم بالأغلوطات.

* وقوله: "وكثرة الكلام بغير دليل تقسي القلب إذا كان في الحلال والحرام".

وهذا من الكذب الصراح، ومن أكبر المطاعن في صحت نسبة الرسالة للحافظ الذهبي، إذ لا تكاد تجد تحليلا علميا لمسألة شرعية ذكرها ابن تيمية دون استدلا من الكتاب والسنة، وكم امتدحه الذهبي في ذلك، مما يدل على معرفته الوثيقة بعلمه، فمما قاله عنه ما نقله الحافظ ابن حجر: "ولا كان متلاعبا بالدين ولا ينفرد بمسائله بالتَشهّي، ولا يطلق لسانه بما اتفق، بل يحتج بالقرآن والحديث والقياس، ويبرهن ويناظر أسوة من تقدمه من الأئمة، فله أجر على خطئه وأجران على إصابته".[١١٢]

كما ينقل الحافظ ابن حجر عن الذهبي قوله: "كان يقضي منه العجب إذا ذكر مسالة من مسائل الخلاف واستدل ورجع، وكان يحق له الاجتهاد لاجتماع شروطه فيه، قال: وما رأيت أسرع انتزاعا للآيات الدالة على المسألة التي يوردها منه، ولا أشد استحضارا للمتون وعزوها منه، كأن السنة نصب عينيه وعلى طرف لسانه بعبارة رشيقة وعين مفتوحة".[١١٣]، كما ذكر الذهبي عن أبي الفتح اليعمري قوله: "وكاد يستوعب السنن والآثار حفظا".[١١٤] فهل بعد هذا نعتقد نسبة هذه الرسالة المنحولة للذهبي ﷺ، وهل يعقل أن يتهم الذهبي ابن تيمية بذلك؟

* وقوله: "فكيف إذا كان في العبارات اليونسية والفلاسفة، وتلك الكفريات التي تعمي

القلوب". لقد انتقد الذهبي نفسه اليونسية، فتكلم على أحد شيوخها فقال: "يونس بن يوسف ابن مساعد الشيباني، المخارقي الجزري القنيي الزاهد أحد الأعلام، شيخ اليونسية أولي الزعارة والشطح والخواثة وخفة العقل،كان ذا كشف وحال، ولم يكن عنده كبير علم، وله شطح وشعر ملحون، ينظمه على لسان الربوبية وبعضه كأنه كذب، والله أعلم بسره، فلا يغتر المسلم بكشف ولا بحال ولا بإخبار عن مغيب، فابن صائد وإخوانه الكهنة لهم خوارق والرهبان، فيهم من قد تمزق جوعا وخلوة ومراقبة على غير أساس ولا توحيد، فصفت كدورات أنفسهم وكاشفوا وفشروا، ولا قدوة إلا في أهل الصفوة وأرباب الولاية، المنوطة بالعلم والسنن، فنسأل الله إيمان المتقين وتأله المخلصين، فكثير من المشايخ نتوقف في أمرهم حتى يتبرهن لنا أمرهم وبالله الاستعانة".[١١٥] فهل يعقل أن يعيب الذهبي على ابن تيمية ما فعله هو؟

* وقوله: "فإلى كم تنبشُ دقائق الكفريات الفلسفية لنردَّ عليها بعقولنا".

نبش الذهبي بعض ما عابه على ابن تيمية –افتراضا– نبشه من دقائق الكفريات، فقد وصف أبا حيان التوحيدي علي بن محمد بن العباس، نزيل نواحي فارس بأنه صاحب زندقة وانحلال.[١١٦]، وقال عن تأئية ابن الفارض: "فإن لم يكن في تلك القصيدة صريح الإتحاد الذي لا حيلة في وجوده، فما في العالم زندقة ولا ضلال، اللهم ألهمنا التقوى وأعذنا من الهوى، فيا أئمة الدين ألا تغضبون لله؟ فلا حول ولا قوة إلا بالله".[١١٧]، وقال عن أبي عبد الرحمن السلمي: "وفي الجملة ففي تصانيفه أحاديث وحكايات موضوعة، وفي حقائق تفسيره أشياء لا تسوغ أصلا عدها بعض الأئمة من زندقة الباطنية، وعدها بعضهم عرفانا وحقيقة، نعوذ بالله من الضلال ومن الكلام بهوى، فإن الخير كل الخير في متابعة السنة، والتمسك بهدي الصحابة والتابعين ﷺ".[١١٨] وقال أيضا: "والعلم الذي يحرم تعلمه ونشره، علم الأوائل وإلهيات الفلاسفة، وبعض رياضتهم بل أكثره".[١١٩] وغير ذلك كثير في ثنايا كتبه، فهل يحلل الذهبي لنفسه ما حرمه على ابن تيمية، أم أن الرسالة منحولة مكذوبة على الحافظ الذهبي؟؟

* وقوله: "يا رجل قد بلعتَ سموم الفلاسفة ومصنفاتهم مرات، وبكثرة استعمال السموم يُدمن عليها الجسم وتكمن والله في البدن".

أما الذي ابتلع علوم الفلاسفة فالمشهور بذلك هو أبو حامد الغزالي، كما نقله الذهبي عن أبي بكر بن العربي أنه قال: "شيخنا أبو حامد بلع الفلاسفة وأراد أن يتقيأهم فما استطاع".[١٢٠] وذكر أيضا: "قال أبو بكر الطرطوشي: شحن أبو حامد الإحياء بالكذب على رسول الله ﷺ، فلا أعلم كتابا على بسيط الأرض أكثر كذبا منه،

ثم شبكه بمذاهب الفلاسفة، ومعاني رسائل إخوان الصفا، وهم قوم يرون النبوة مكتسبة، وزعموا أن المعجزات حيل ومخاريق".[١٢١]

قال مقيده عفا الله عنه: فأين هذا من هذا، خلط الغزالي كتبه بالفلسفة، فهل فعل هذا ابن تيمية أم العكس هو الصحيح؟

* وقوله: "واشوقاه إلى مجلس فيه تلاوة بتدبر، وخشية بتذكر، وصمت بتفكر".

عبارة الذهبي –افتراضا– في سياق الاستنكار على مجلس ابن تيمية، وكأنه خال مما ذكره. أما مجلس ابن تيمية فالذهبي من أعرف الناس به، ينقل ابن حجر وصف الذهبي له بقوله: "ولم أر مثله في ابتهاله واستغاثته وكثرة توجهه".[١٢٢] كما نقل عنه أيضا: "وكان دائم الابتهال كثير الاستعانة، قوي التوكل رابط الجأش، له أوراد وأذكار يدمنها قلبية وجمعية".[١٢٣] فهل بعد هذا نصدق أن هذه رسالة الذهبي نصيحةً لمن هذا حاله؟

* وقوله: "يا خيبة من اتبعك فإنه مُعَرَّضٌ للزندقة والانحلال ولا سيما إذا كان قليل العلم والدين باطوليًّا شهوانيًّا، لكنه ينفعك ويجاهد عنك بيده ولسانه، وفي الباطن عدو لك بحاله وقلبه، فهل معظم أتباعك إلا قعيدٌ مربوط خفيف العقل، أو عامي كذّاب بليد الذهن، أو غريب واجم قوي المكر، أو ناشف صالح عديم الفهم، فإن لم تصدقني ففتشهم وزنهم بالعدل".

وهذا من القوادح العِظام في صحة هذه النصيحة المزعومة. فأما أتباع ابن تيمية فالذهبي من كبار كبارهم، فهل تعرض للزندقة والانحلال، وأسوق ما قاله السبكي في أتباع ابن تيمية ومنهم الذهبي، فقال: "واعلم أن هذه الرفقة، أعني المزي والذهبي والبرزالي، وكثيرا من أتباعهم أضر بهم أبو العباس ابن تيمية إضرارا بينا، وحملهم على عظائم الأمور أمرا ليس هينا، وجرهم إلى ما كان التباعد عنه أولى بهم، وأوقفهم في دكادك من نار المرجو من الله أن يتجاوزها لهم ولأصحابهم. وكان للمزي ديانة متينة وعبادة وسكون وخير".[١٢٤]

ومما يقدح في هذه النصيحة المفضوحة، دفاع الذهبي نفسه عن ابن تيمية ورده على السبكي، كما نقله ابن حجر عنه فقال: "وكتب الذهبي إلى السبكي يعاتبه بسبب كلام وقع منه في حق ابن تيمية، فأجابه ومن جملة الجواب: وأما قول سيدي في الشيخ تقي الدين، فالمملوك يتحقق كبير قدره وزخارة بحره، وتوسعه في العلوم النقلية والعقلية، وفرط ذكائه واجتهاده وبلوغه في كل من ذلك المبلغ الذي يتجاوز الوصف، والمملوك يقول ذلك دائما وقدره في نفسي أكبر من ذلك وأجلّ، مع ما جمعه

الله له من الزهادة والورع والديانة ونصرة الحق، والقيام فيه لا لغرض سواه، وجريه على سنن السلف، وأخذه من ذلك بالمأخذ الأوفى، وغرابة مثله في هذا الزمان بل فيما مضى من أزمان".[١٢٥]

وقال أيضا عن أصحابه الحنابلة: "وأما الحنابلة فعندهم علوم نافعة وفيهم دين في الجملة، ولهم قلة حظ في الدنيا، والجهال يتكلمون في عقيدتهم ويرمونهم بالتجسيم، وبأنه يلزمهم وهم بريئون من ذلك، إلا النادر والله يغفر لهم".[١٢٦]

فهل ما زلنا نعتقد صحة هذه النصيحة المزعومة.

* وقال: "يا ليت أحاديث الصحيحين تسلم منك بل في كل وقت تُغيرُ عليها بالتضعيف والإهدار، أو بالتأويل والإنكار".

وهذا من الطوام التي لا تصدق لمن خَبَر كلام ابن تيمية في الصحيحين، ومن أقواله فيهما: قوله: "جمهور متون الصحيحين متفق عليها بين أئمة الحديث، تلقوها بالقبول وأجمعوا عليها، وهم يعلمون علما قطعيا أن النبي ﷺ قالها".[١٢٧] وقوله: "أكثر متون الصحيحين معلومة متقنة، تلقاها أهل العلم بالحديث بالقبول والتصديق، واجمعوا على صحتها وإجماعهم معصوم من الخطأ".[١٢٨] وقوله: "أهل الحديث يعلمون صدق متون الصحيحين، ويعلمون كذب الأحاديث الموضوعة التي يجزمون بأنها كذب بأسباب عرفوا بها ذلك".[١٢٩] وقوله: "كتاب البخاري أجل ما صنف في هذا الباب، والبخاري من أعرف خلق الله بالحديث وعلله مع فقهه فيه".[١٣٠] وقوله: "فى البخاري نفسه ثلاثة أحاديث نازعه بعض الناس في صحتها، مثل حديث أبى بكرة عن النبي ﷺ أنه قال عن الحسن: (إن ابنى هذا سيد، وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين)، فقد نازعه طائفة منهم أبو الوليد الباجى، وزعموا أن الحسن لم يسمعه من أبى بكرة، لكن الصواب مع البخاري وأن الحسن سمعه من أبى بكرة، كما قد بين ذلك في غير هذا الموضع، وقد ثبت ذلك في غير هذا الموضع، والبخاري أحذق وأخبر بهذا الفن من مسلم، ولهذا لا يتفقان على حديث إلا يكون صحيحا لا ريب فيه قد اتفق أهل العلم على صحته، ثم ينفرد مسلم فيه بألفاظ يعرض عنها البخاري، ويقول بعض أهل الحديث إنها ضعيفة، ثم قد يكون الصواب مع من ضعفها، كمثل صلاة الكسوف بثلاث ركوعات وأربع، وقد يكون الصواب مع مسلم وهذا أكثر".[١٣١] وقوله: "جمهور ما أنكر على البخاري مما صححه، يكون قوله فيه راجحا على قول من نازعه، بخلاف مسلم بن الحجاج فإنه نوزع في عدة أحاديث مما خرجها، وكان الصواب فيها مع من نازعه، كما روى في حديث الكسوف".[١٣٢] فهل

هذه الأقوال تصدر ممن يُغِير على الصحيحين بالتضعيف والإهدار، أو بالتأويل والإنكار.

ختاما لقد أثبتنا بفضل الله ومَنّه بما لا يدع مجالا لشاك ولا قولا لمرتاب، عدم صحة نسبة هذه الرسالة الركيكة المعاني، الضعيفة المباني للحافظ الإمام الذهبي، ومن أصر على موقفه فهو أضل من ضَبّ.

كلمة ذهبية أخيرة في حق الإمام ابن تيمية:

وإمعانا منا في نسف القول بصحة هذه الرسالة المنحولة للحافظ الذهبي، نسوق له كلمة ذهبية في حق أخيه وشيخه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمهما الله تعالى لما تكلم في زغل العلم على "علم أصول الدين"، فقال: "أصول الدين هو اسم عظيم، وهو منطبق على حفظ الكتاب والسنة، فهما أصول دين الإسلام ليس إلا، وأما العرف في هذا الاسم فهو مختلف باختلاف النحل. فأصول دين السلف الإيمان بالله، وكتبه ورسله وملائكته وبصفاته وبالقدر، وبأن القرآن المنزل كلام الله تعالى غير مخلوق، والترضي عن كل الصحابة إلى غير ذلك من أصول السنة.

وأصول دين الخلف هو ما صنفوا فيه وبنوه على العقل والمنطق. فما كان السلف يحطون على سالكه ويبدعونه، وبينهم اختلاف شديد في مسائل مزمنة، تركها من حسن إسلام العبد فإنه يورث أمراضا في القلوب، ومن لم يصدقني يجرب، فإن الأصولية بينهم السيف يكفر هذا هذا، ويضلل هذا هذا، فالأصولي الواقف مع الظواهر الآثار عند خصومه يجعلونه مجسما وحشويا ومبتدعا، والأصولي الذي طرد التأويل عند الآخرين جهميا ومعتزليا وضالا، والأصولي الذي أثبت بعض الصفات ونفى بعضها وتأول في أماكن يقولون: متناقضا والسلامة والعافية أولى بك.

فإن برعت في الأصول وتوابعها من المنطق والحكمة والفلسفة وأراء الأوائل ومجازات العقول واعتصمت مع ذلك بالكتاب والسنة وأصول السلف، ولفقت بين العقل والنقل، فما أظنك تبلغ رتبة ابن تيمية ولا والله تقربها، وقد رأيت ما آل أمره إليه من الحط عليه، والهجر والتضليل والتكفير والتكذيب بحق وبباطل، فقد كان قبل أن يدخل في هذه الصناعة منورا مضيئا، على محياه سيما السلف، ثم صار مظلما مكسوفا عليه قتمة عند خلائق الناس، ودجالا أفاكا كافرا عند أعدائه، ومبتدعا فاضلا محققا بارعا عند طوائف من عقلاء الفضلاء، وحامل راية الإسلام وحامي حوزة الدين ومحيي السنة عند عوام أصحابه هو ما أقول لك".[١٣٣]

فبعد هذا البيان فليس لأهل الكذب والبهتان حجة أو برهان في كذب الرسالة

الذهبية في حق شيخ الإسلام ابن تيمية، والله أعلم.

الشبهة الخامسة عشر: تلقين الميت:

قال المخالف: "ولازلنا نخوض بحر تقديس ابن تيمية للصوفية، ومُتابعته لأفعالهم وأقوالهم، وتحليله والتماس العُذر لهم. زُرت المقابر ... حاولت أن تُلقّن الميت الشهادتين. بماذا .. قُوبلت؟ تبديع .. تفسيق .. تشريك .. قبوري. نترككم الآن مع محب الصوفية ومقدّسهم لتعلموا حُكمه في ذلك"، ثم ساق من كلامه ما نصه: "وروي في تلقين الميت بعد الدفن حديث فيه نظر، لكن عمل به رجال من أهل الشام الأولين مع روايتهم له، فلذلك استحبه أكثر أصحابنا وغيرهم. فهذا ونحوه مما كان النبي ﷺ يفعله، ويأمر به أمته عند قبور المسلمين عقب الدفن، وعند زيارتهم أو المرور بهم، إنما هو تحية للميت كما يُحَيِّى الحَي، ويدعي له كما يدعي له إذا صلى عليه قبل الدفن أو بعده، وفي ضمن الدعاء للميت دعاء الحي لنفسه ولسائر المسلمين، كما أن الصلاة على الجنازة فيها الدعاء للمصلي، ولسائر المسلمين وتخصيص الميت بالدعاء له".[١٣٤]

رد الشبهة:

لا دخل للصوفية في تلقين الميت الشهادتين، فتلقين الميت الشهادتين سنة نبوية إسلامية، وليست صوفية طرقية، وليس في كلام ابن تيمية السابق تقديس لهم، ولا متابعة لأفعالهم ولا التماس العُذر لهم، فليس الصوفية من قال بالتلقين، ولا أمر الناس به وشرّعه ووافقهم عليه ابن تيمية، وإنما الذي شرّعه رسول الله ﷺ كما في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ.[١٣٥] ولم يقل ابن تيمية باستحباب التلقين –الآتي ذِكر حديثه– ولا ذَكَر أن الصوفية يفعلونه، وليس لهم ذكر في كلامه لا منطوقا ولا مفهوما، فهذا كله من رأس المخالف وتوهماته، كما حكم ابن تيمية بضعف الحديث الوارد فيه؟، ولعل الإنكار الذي حصل للمعترض أثناء تلقينه لميت، هو لأجل النوع الآخر من التلقين وهو قولك للميت بعد الدفن: "يا فلان ابن فلانة فيستوي قاعدا، ثم ليقل يا فلان ابن فلانة، فإنه يقول: أرشدنا يرحمك الله، ولكن لا تسمعونه فيقول: أذكر ما خرجت عليه من الدنيا: شهادة إلا لا إله إلا الله، وأن محمدا عبده ورسوله، وأنك رضيت بالله ربا، وبالإسلام دينا، وبمحمد ﷺ نبيا، وبالقرآن إماما".

فهذا حديث فيه مقال، ومع ذلك قال به بعض أهل العلم من الصحابة فمن بعدهم، كما قال ابن تيمية، وذكر كراهة بعض أصحاب مالك وغيرهم له.[١٣٦]

وأيضا بدّع فِعله بعض أهل العلم، قال الصنعاني ﷺ: "قال في المنار: إن

حديث التلقين هذا حديث لا يشك أهل المعرفة بالحديث في وضعه، وأنه أخرجه سعيد بن منصور في سننه عن حمزة بن حبيب، عن أشياخ له من أهل حمص فالمسألة حمصية، وأما جعل: اسألوا له التثبيت فإنه الآن يسأل شاهدا له فلا شهادة فيه، وكذلك أمر عمرو بن العاص بالوقوف عند قبره، مقدار ما ينحر جزورا ليستأنس بهم عند مراجعة رسل ربه، لا شهادة فيه على التلقين، وابن القيم جزم في الهدى بمثل كلام المنار، وأما في كتاب الروح فإنه جعل حديث التلقين من أدلة سماع الميت لكلام الأحياء، وجعل اتصال العمل بحديث التلقين من غير نكير كافيا في العمل به، ولم يحكم له بالصحة بل قال في كتاب الروح إنه حديث ضعيف، ويتحصل من كلام أئمة التحقيق أنه حديث ضعيف، والعمل به بدعة ولا يغتر بكثرة من يفعله".[١٣٧]

فهذا كلام إمام من أئمة الدين المحققين من أهل اليمن –لا أهل نجد– أهل الحكمة والإيمان بنص حديث رسول الله ﷺ، في بدعية هذا النوع من التلقين؟. وفاعله ليس فاسقا ولا مشركا، وإن صدق المخالف في دعواه فقد أخطأ من وصفه بتلك الأوصاف التي لا تليق بمسلم.

الشبهة السادسة عشر: طلاسم ذوقية:

قال المخالف: "ابن تيمية الصوفي ذوقاً ومشربا، طلاسم لا يفهمها حتى أقرب الناس إليه تلميذه ابن قيم الجوزية فقط! لأنه لم يرتق ما ارتقاه شيخه من مقامات التصوف! طلاسم ذوقية عجيبة: ما لي شيء .. ولا مني شيء .. ولا في شيء. تواضع صوفي يظن من يقرأه من الوهابية أنه تخريف! والله إني إلى الآن أجدد إسلامي كل وقت وما أسلمت بعد إسلاما جيدا". ثم ساق من كلام ابن القيم في شيخه ابن تيمية ما نصه: "ولقد شاهدت من شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه من ذلك أمرا لم أشاهده من غيره، وكان يقول كثيرا: ما لي شيء .. ولا مني شيء .. ولا في شيء .. وكان كثيرا ما يتمثل بهذا البيت

أنا المكدِّي وابن المكدِّي وهكذا كان أبي وجدي

وكان إذا أُثنيَ عليه في وجهه يقول: والله إني إلى الآن أجدد إسلامي كل وقت وما أسلمت بعد إسلاما جيدا".[١٣٨] ثم قال المخالف بعد ذلك: "ولا ننس قول ابن قيم الجوزية في حق شيخه: قدس اللهُ سره. فما هو هذا السر الصوفي الذي لم يعرفه التلميذ؟! هل هذا السر هو ما يقول عنه الصوفية علم الحقيقة؟!

رد الشبهة:

ترى ما هي الطلاسم التي لم يفهمها أقرب الناس إليه: تلميذه ابن قيم

الجوزية!! وهل عرف المخالف معنى الطلاسم، أم أنه يَهرف بما لا يَعرف، وهذه حقيقته، فالرجل متعالم لا يعرف ما ينطق به، وهذا منه، حيث جهل معنى الطلاسم. والطلسم واحد الطلاسم، ومعنى الطلسم عقد لا ينحل، وهو علم باحث عن كيفية تركيب القوى السماوية الفعالة، مع القوى الأرضية المنفعلة في الأزمنة المناسبة للفعل، والتأثير المقصود مع بخورات مقوية جالبة لروحانية الطلسم، ليظهر من تلك الأمور في عالم الكون والفساد أفعال غريبة، وهو قريب المأخذ بالنسبة إلى السحر لكون مباديه وأسبابه معلومة.[١٣٩]، وعلم الطلسمات متعلق باستخدام الجن وعبادتهم وتعظيمهم.[١٤٠] كما أن له تعلق بالسحر، قال القنوجي: "السحر لا يحتاج الساحر فيه إلى معين، وصاحب الطلسمات يستعين بروحانيات الكواكب، وأسرار الأعداد وخواص الموجودات، وأوضاع الفلك المؤثرة في عالم العناصر، كما يقوله المنجمون. ويقولون: السحر اتحاد روح بروح، والطلسم اتحاد روح بجسم، ومعناه عندهم ربط الطبائع العلوية السماوية بالطبائع السفلية، والطبائع العلوية هي روحانيات الكواكب، ولذلك يستعين صاحبه في غالب الأمر بالنجامة".[١٤١]، وقال أيضا: "وأما الشريعة فلم تفرق بين السحر والطلسمات، وجعلتهما بابا واحدا محظورا، لأن الأفعال إنما أباح لنا الشارع منها ما يهمنا في ديننا، الذي فيه صلاح آخرتنا أو في معاشنا الذي فيه صلاح دنيانا، وما لا يهمنا في شيء منهما، فإن كان فيه ضرر ونوع ضرر، كالسحر الحاصل ضرره بالوقوع، يلحق به الطلسمات لأن أثرهما واحد، وكالنّجامة التي فيها نوع ضرر باعتقاد التأثير، فتفسد العقيدة الإيمانية برد الأمور إلى غير الله تعالى".[١٤٢]

فهل ما قاله ابن تيمية ﵀ "طلاسم" كما زعم المتعالم المخالف، أم هو منتهى التواضع والسكون والخشوع والرضى لله عز وجل.

الشبهة السابعة عشر: تبرك الشافعي بأحمد وجنازة ابن تيمية:

قال المخالف: "تلاميذ تربّوا في حجر شيخ مقدّس للصوفية... لابد أن يتشربوا بذوقياته الصوفية. الإمام الحافظ ابن كثير تلميذ ابن تيمية... وسيره على طريق شيخه". ثم ذكر المخالف عن الحافظ ابن كثير قوله: "روى البيهقي عن الربيع قال: بعثني الشافعي بكتاب من مصر إلى أحمد بن حنبل، فأتيته وقد انفتل من صلاة الفجر، فدفعت إليه الكتاب فقال: أقرأته فقلت: لا، فأخذه فقرأه فدمعت عيناه! فقلت: يا أبا عبد الله وما فيه؟ فقال: يذكر أنه رأى رسول الله ﷺ في المنام فقال: أكتب إلى عبد الله أحمد بن حنبل، وأقرأ عليه السلام مني، وقل له: إنك ستمتحن وتدعى إلى القول بخلق القرآن، فلا تجبهم ويرفع الله لك علما إلى يوم القيامة. قال الربيع: فقلت: حلاوة

البشارة فخلع قميصه الذي يلي جلده فأعطانيه، فلما رجعت إلى الشافعي أخبرته، فقال: إني لست أفجعك فيه، ولكن بله بالماء وأعطينيه حتى اتبرك به. ملخص الفتنة والمحنة من كلام أئمة السنة أثابهم الله الجنة، قد ذكرنا فيما تقدم أن المأمون كان قد استحوذ عليه جماعة من المعتزلة فأزاغوه عن طريق الحق".[١٤٣] وقال المخالف: "الثوب الذي يلي الجسد تكون له من بركة الجسد .. فانظر لهؤلاء الأئمة !!". ثم ذكر المخالف وصف ابن كثير لجنازة ابن تيمية فقال: "حضر جمع كثير إلى القلعة وأذن لهم في الدخول عليه، وجلس جماعة عنده قبل الغسل وقرؤوا القرآن، وتبركوا برؤيته وتقبيله ثم انصرفوا، ثم حضر جماعة من النساء ففعلن مثل ذلك ثم انصرفن، واقتصروا على من يغسله فلما فرغ من غسله أخرج، ثم اجتمع الخلق بالقلعة والطريق إلى الجامع."[١٤٤]

قال المخالف: "التبرك برُؤية الصالحين مأثور كذلك عن الصُوفية". واستمر في ذكر وصف جنازته فقال: "وشرب جماعة الماء الذي فضل من غسله، واقتسم جماعة بقية السدر الذي غسّل به، ودفع في الخيط الذي كان فيه الزئبق الذي كان في عنقه بسبب القمل مائة وخمسون درهما، وقيل إن الطاقية التي كانت على رأسه دفع فيها خمسمائة درهما، وحصل في الجنازة ضجيج وبكاء كثير."[١٤٥]

قال المخالف: "بقية الولي الصالح مذكورة كذلك عن الصوفية .. ولعل ماذُكر في الطاقية شبيه بخرقة الصُوفية". ثم ذكر عن ابن كثير: "ورؤيت له منامات صالحة عجيبة".[١٤٦]

قال المخالف: "الاستبشار بالمنامات والمرائي الصالحة، كذلك مأثور عن الصوفية". ونقل عن ابن كثير أيضا قوله: "وتردد شيخنا الإمام العلامة برهان الدين الفزاري إلى قبره في الأيام الثلاثة، وكذلك جماعة من علماء الشافعية، وكان برهان الدين الفزاري يأتي راكبا على حماره، وعليه الجلالة والوقار، وعملت له ختمات كثيرة ورؤيت له منامات صالحة عجيبة".[١٤٧] ثم قال المخالف: "الختمات اختصار لقراءة القرآن عدة مرات، وإهداء ثوابها للميت، وهي مأثورة عن الصوفية". ثم نقل عن ابن كثير أمرا آخر فقال: "وحمل خالد بن الوليد حتى جاوزهم، وسار لجبال مسيلمة وجعل يترقب أن يصل إليه فيقتله، ثم رجع ثم وقف بين الصفين ودعا البراز، وقال: أنا ابن الوليد العود، أنا ابن عامر وزيد، ثم نادى بشعار المسلمين وكان شعارهم يومئذ يا محمداه".[١٤٨] ثم قال المخالف: "التوسل بالرسول ﷺ والاستغاثة به كذلك مأثور عن الصوفية، لله در التلميذ الذي ينهج طريق شيخه، بل يتعدّاه إلى فهوم ذوقية لأفعال

الصوفية، فتجد مؤلفاته طافحة بما يعتقده ويأخذه عن شيخه، ولم نجد ولله الحمد من يرمي الإمام الحافظ ابن كثير بالشرك، أو يرميه بأنه داعية إلى الشرك أو أنه يعتقد اعتقادات شركية". انتهى كلام المخالف.

رد الشبهة:

ذكر المخالف عدة أمور في التبرك، وليس كل التبرك مقبولا وليس كله مرفوضا، فما وافق الشرع قبل وحُضّ عليه وما وخالفه منع وحُذّر منه، ثم يلزمنا معرفة ما هو التبرك. فالتبرك في رأي شعور معنوي نفسي يختلج في نفس المتبرك تجاه ما يُتبرك به، سواء كان بشرا كنبي، أو عالم صالح ولي، أو قرآن أو عند شرب زمزم ونحوه مما وردت نصوص الشريعة في بركته وهو كثير، ويكون شعورا ماديا ملموسا كقوله ﷺ: (اتخذوا الغنم فإنها بركة)[١٤٩]، فالبركة الملموسة هو النماء والزيادة، والخير الذي يحصل من كثرة توالدها والاستفادة من نتاجها.

ولاشتقاق الكلمة معان بنحوه، ففي لسان العرب: "البركة النماء والزيادة، والتبريك الدعاء للإنسان أو غيره بالبركة، يقال: بَرّكت عليه تبريكا، أي قلت له: بارك الله عليك، وبارك الله الشيء وبارك فيه وعليه، وضع فيه البركة، وطعام بَريك كأنه مبارك، وقال الفراء في قوله تعالى: ﴿رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ﴾ (هود: ٧٣)، قال: البركات السعادة، قال أبو منصور: وكذلك قوله في التشهد: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، لأن من أسعده الله بما أسعد به النبي فقد نال السعادة المباركة الدائمة".[١٥٠]

قال مقيده عفا الله عنه: أما الأمور التي ذكرها المخالف فهي:

الأول: ذكر قصة رؤيا الشافعي لأحمد بن حنبل، والتي رواها البيهقي وفيها تبرك الشافعي بغسالة ثوب أحمد الذي أعطاه للربيع. وهذه القصة رواها ابن عساكر من طريق البيهقي فقال: "أخبرني أبو المظفر عبد المنعم بن عبد الكريم القشيري، أنا أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، أنا أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين بن محمد بن موسى قراءة عليه، قال: سمعت محمد بن عبد الله بن شاذان يقول: سمعت أبا القاسم بن صدقة يقول: سمعت علي بن عبد العزيز الطلحي يقول: قال لي الربيع: إن الشافعي خرج إلى مصر وأنا معه فقال لي: يا ربيع خذ كتابي هذا فامض به...".[١٥١]

ومن طريق ابن عساكر أخرجها السبكي في طبقاته الكبرى.[١٥٢]

وهي قصة معلولة لا يصح الاحتجاج بها وفيها من العلل:

١. (أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين بن محمد بن موسى السلمي)، شيخ البيهقي،

قال الحافظ: "شيخ الصوفية وصاحب تاريخهم وطبقاتهم وتفسيرهم، تكلموا فيه وليس بعمدة، روى عن الأصم وطبقته، وعنى بالحديث ورجاله، وسئل الدارقطني قال الخطيب: قال لي محمد بن يوسف القطان: كان يضع الأحاديث للصوفية".[١٥٣]

٢. (محمد بن عبد الله بن شاذان)، قال الحافظ: "محمد بن عبد الله بن عبد العزيز بن شاذان، أبو بكر الرازي الصوفي صاحب تلك الحكايات المنكرة، روى عنه الشيخ أبو عبد الرحمن أوابد وعجائب وهو متهم طعن فيه الحاكم".[١٥٤]

قال مقيده عفا الله عنه: فهذا حال القصة الواهية، وهي كحال رواتها الصوفية ومدارها عليهما، ولم أقف على من فوقهما، فلا يحتج بها ولا كرامة.

الثاني: ذكر المخالف تبركات حصلت في جنازة ابن تيمية.

وأقول: أما التبرك برؤيته وتقبيله، فلا شيء فيه، إذ رؤية العالم الرباني وهو ميت تؤثر في الرائي، أما التقبيل فقد قبل أبو بكر النبي ﷺ وهو ميت.[١٥٥]

الثالث: ثم ذكر المخالف شرب جماعة فضل غسله، واقتسام بقية السدر، ودُفِع في متعلقاته نقودا، كخيط الزئبق الذي كان في عنقه والطاقية التي كانت على رأسه".

فأقول: أما هذا فأي بركة فيه، وما ذا سيحصل لمن فعله ودفع مالا لاقتناء ذلك؟ إلا أن يكون الإقتناء على وجه الذكرى، كونها لعالم مشهور وهذا هو الظاهر؟، ثم قياس المخالف الطاقية على الخرقة الصوفية لا معنى له البتة، فالطاقية تلبس عادة، أما الخرقة عند الصوفي فتلبس عقيدة ودينا ومنهجا.

الرابع: ثم ذكر المخالف رؤية المنامات له، وهذا لا شيء فيه وتلك عاجل بشرى المؤمن؟ كما صح عن النبي ﷺ، ولا دخل للصوفية فيه، إذ مرائيهم تشريع لهم، ولا أدل على ذلك مما ذكره السيوطي في حاويه: "أن رجلا اسمه خليفة بن موسى النهر ملكي، أنه كان كثير الرؤية لرسول الله ﷺ يقظة ومناما، فكان يقال: إن أكثر أفعاله متلقاة منه بأمر منه إما يقظة وإما مناما".[١٥٦]

الخامس: ذكر المخالف تردد بعض أهل العلم لزيارة قبره وتكرار ذلك، وهذا أيضا لا شيء فيه إذ هو من باب الزيارة الشرعية، وهو يختلف عن زيارة الصوفية وأصحاب الطرق لقبور ومشاهد وأضرحة أقطابهم، إذ يصحب ذلك توسلات واستغاثات وطواف ونذور؟

السادس: ثم ذكر قراءة الختمات وإهداء ثوابها للميت، وهي مسألة فقهية لا تعلق لها بالصوفية ولا بما يطمح له المخالف، وابن تيمية وغيره يرى وصول ثوابها للميت.[١٥٧]

السابع: ثم ذكر أن شعار المسلمين يوم مقتل مسيلمة كان (يا محمداه)، على سبيل

جواز الاستغاثة بالنبي ﷺ. وهي قصة معلولة مسلسلة بالضعفاء لا يحتج بها المحققون من أهل العلم، وإنما هي من حجج الخرافيين، ومن يحتج بالنطيحة والموقوذة والمتردية وما أكل السبع، أمثال المخالف، أخرجها الطبري بسنده في تاريخه فقال: "كتب إلي السري، عن شعيب، عن سيف، عن الضحاك بن يربوع، عن أبيه، عن رجل من بني سحيم قد شهدها مع خالد قال....".[١٥٨]

وعلتها:

١. جهالة الرجل السحيمي الراوي عن خالد بن الوليد.

٢. (الضحاك بن يربوع)، قال الذهبي: "قال الأزدي: حديثه ليس بالقائم".[١٥٩]

٣. (سيف بن عمر التميمي الأسدي)، قال الذهبي: "له تواليف متروك باتفاق، وقال ابن حبان: اتهم بالزندقة. قلت: أدرك التابعين وقد اتهم، قال ابن حبان: يروي الموضوعات".[١٦٠]

٤. (شعيب)، هو ابن إبراهيم الكوفى قال ابن حجر: "راوية كتب سيف عنه، فيه جهالة. انتهى. ذكره ابن عدى وقال: ليس بالمعروف وله أحاديث وأخبار، وفيه بعض النكرة، وفيها ما فيه تحامل على السلف".[١٦١]

قال مقيده عفا الله عنه: فهذا حال قصة "يا محمداه"، التي قال فيها المخالف: "التوسل بالرسول ﷺ والاستغاثة به كذلك مأثور عن الصوفية"، ومن المأثور عنهم كذلك عند القبور والأضرحة والمشاهد "الصراخ والصياح والعويل، على هيئة استغاثات وتوسلات وطلب الحوائج من الأموات". وليس هذا مأثورا عن النبي ﷺ ولا أصحابه ﷺ ولا التابعين لهم بإحسان، وإنما هو مقتبس من دين الرافضة.

الثامن: قال المخالف: "لله در التلميذ الذي ينهج طريق شيخه، بل يتعدّاه إلى فهوم ذوقية لأفعال الصوفية، فتجد مؤلفاته طافحة بما يعتقده ويأخذه عن شيخه، ولم نجد ولله الحمد من يرمي الإمام الحافظ ابن كثير بالشرك، أو يرميه بأنه داعية إلى الشرك أو أنه يعتقد اعتقادات شركية".

قال مقيده عفا الله عنه: هذا سفسطة من القول، فابن كثير لم ينهج منهج ابن تيمية كما زعم، وإنما هو مجرد ناقل وليس بمعتقد، ولا يستطيع المخالف إثبات اعتقاد ابن كثير لما ينقل البتة، وناقل الكفر ليس بكافر، كما أن ناقل الشركيات والبدع ليس بمشرك ولا مبتدع؟ وأسوق هنا بعض ما قاله ابن كثير في هذا الموضوع، مما ينسف مذهب المخالف المتعالم من جذوره:

قال ابن كثير ﷺ: "وأصل عبادة الأصنام من المغالاة في القبور وأصحابها،

وقد أمر النبي ﷺ بتسويه القبور وطمسها، والمغالاة في البشر حرام".[١٦٢] وقال أيضا في ترجمة (الخضر بن نصر): "وترجمه ابن خلكان في الوفيات وقال: قبره يزار وقد زرته غير مرة، ورأيت الناس ينتابون قبره يتبركون به". فتعقبه ابن كثير بقوله: "وهذا الذي قاله ابن خلكان مما ينكره أهل العلم عليه وعلى أمثاله ممن يعظم القبور".[١٦٣]

فأين هذه العقيدة السلفية التي أثبتها ابن كثير السلفي لنفسه، تلميذ إمام السلفية في وقته مما يريد المخالف القبوري إثباته له.

الشبهة الثامنة عشر: (لولاك ما خلقت الأفلاك):

قال المخالف: "اليوم يحدثنا عن مقام الحبيب المصطفى صلوات ربي وسلامه عليه، لأجل محمد ﷺ خُلقت جميع المخلوقات". ثم ذكر من كلام ابن تيمية ما نصه: "والله خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام، وكان آخر الخلق يوم الجمعة وفيه خلق آدم وهو آخر ما خلق، خلق يوم الجمعة بعد العصر في آخر يوم الجمعة، وسيد ولد آدم هو محمد ﷺ، آدم فمن دونه تحت لوائه قال ﷺ: (إني عند الله لمكتوب خاتم النبيين وإن آدم لمنجدل في طينته)، أي كتبت نبوتي وأظهرت لمّا خلق آدم قبل نفخ الروح فيه، كما يكتب الله رزق العبد وأجله وعمله وشقي أو سعيد، إذا خلق الجنين قبل نفخ الروح فيه، فإذا كان الإنسان هو خاتم المخلوقات وآخرها، وهو الجامع لما فيها وفاضله هو فاضل المخلوقات مطلقا، ومحمد إنسان هذا العين وقطب هذه الرحى وأقسام هذا الجمع، كان كأنها غاية الغايات في المخلوقات فما ينكر أن يقال: أنه لأجله خلقت جميعها، وأنه لولاه لما خلقت، فإذا فسر هذا الكلام ونحوه بما يدل عليه الكتاب والسنة قُبل ذلك".[١٦٤]

رد الشبهة:

مشكلة المخالف مشكلة عدم فهم النصوص وبترها، فيأخذ ما يريد لأجل هواه، فهو لم ينظر في أول كلام ابن تيمية، كما لم يكمل بقية كلامه، وأيضا لم يفهم آخر كلامه الذي نقله هنا. أما آخر كلامه السابق المنقول والذي لم يفهمه المخالف هو قوله: "فإذا فسر هذا الكلام ونحوه بما يدل عليه الكتاب والسنة قُبل ذلك".

قلت: وتفسير الكتاب والسنة هو ما ذكره ابن تيمية في أول كلامه وهو الآتي: "ومحمد سيد ولد آدم وأفضل الخلق وأكرمهم عليه، ومن هنا قال من قال: إن الله خلق من أجله العالم، أو أنه لولا هو لما خلق عرشا ولا كرسيا، ولا سماء ولا أرضا ولا شمسا ولا قمرا، لكن ليس هذا حديثا عن النبي ﷺ لا صحيحا ولا ضعيفا، ولم ينقله أحد من أهل العلم بالحديث عن النبي ﷺ، بل ولا يعرف عن الصحابة، بل هو كلام

لا يدرى قائله، ويمكن أن يفسر بوجه صحيح كقوله: ﴿سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ (لقمان:٢٠)، وقوله: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ *وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ *وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ (إبراهيم: ٣٢، ٣٣، ٣٤)، وأمثال ذلك من الآيات التى يبين فيها أنه خلق المخلوقات لبنى آدم، ومعلوم أن لله فيها حِكما عظيمة غير ذلك وأعظم من ذلك، ولكن يبين لبنى آدم ما فيها من المنفعة وما أسبغ عليهم، فإذا قيل فعل كذا لكذا لم يقتض أن لا يكون فيه حكمة أخرى. وكذلك قول القائل: لو لا كذا ما خلق كذا، لا يقتضى أن لا يكون فيه حكم أخرى عظيمة، بل يقتضى إذا كان أفضل صالحي بنى آدم محمد، وكانت خلقته غاية مطلوبة وحكمة بالغة مقصودة، أعظم من غيره صار تمام الخلق ونهاية الكمال حصل بمحمد ﷺ ".[١٦٥]

فهذا النص بتمامه من أوله حتى نَقْل المخالف لبقيته، فما دخل التصوف والتذوق، إلى آخر المصطلحات الصوفية التي أطلقها المخالف على شيخ الإسلام ابن تيمية فرحا بها والله لا يحب الفرحين. أما بقية كلام ابن تيمية الذي لم نقله المخالف هو: "وأما إذا حصل في ذلك غلو من جنس غلو النصارى، بإشراك بعض المخلوقات في شيء من الربوبية، كان ذلك مردودا غير مقبول".[١٦٦] وهو ما حصل من المتصوفة في حق النبي ﷺ، ولهم في ذلك قصب السبق، مثل قولهم بأن النبي ﷺ أصل الكائنات ومن نوره خلقت، وسجود الملائكة لم يكن لآدم وإنما لأجل نوره الذي ظهر في جبين آدم إلى غير ذلك مما بسطنا القول فيه في بحث مستقل عن عقائد الصوفية.[١٦٧] يقول الدكتور زكي مبارك وهو من دارسي التصوف خصوصا الأدب الصوفي، ومما قال له في ذلك: "وقول البوصيري:

دع ما أدعته النصارى في نبيهم * وأحكم بما شئت مدحا فيه واحتكم

فيه انحراف عن هذه النظرية، لأن ما ادعته النصارى لعيسى عين ما ادعته الصوفية لمحمد، فعيسى عند النصارى رب ولكن له أب هو رب الأرباب! وكذلك محمد عند الصوفية رب له أصل هو الذات الأحدية".[١٦٨]

ثم يبين الدكتور مبارك ﷺ كيف أن الصوفية قلدوا النصارى في تأليه عيسى فألهوا النبي ﷺ فقال: "إلى هنا عرف القارئ كيف نشأ الإغراق في مدح الرسول ﷺ، فهو قائم على أساس القول بوحدة الوجود، وقد صح عندي بعد التأمل الذي دام بضع سنين، أن الصوفية أرادوا أن ينتهبوا شخصية المسيح ليضفوا ثوبها على نبي الإسلام، فإذا كان المسيح ابن الله كما يزعم النصارى، فمحمد أرفع من ذلك لأن محمدا يقدر

على كل شيء، وهو أصل الوجود ولولاه لما ظهر عن الله شيء".[١٦٩]

قال مقيده عفا الله عنه: فهذا هو الفرق بيننا وبين الصوفية في النظر إلى نبينا الكريم ﷺ فتنبه!

الشبهة التاسعة عشر: مكاشفات وكرامات:

قال المخالف المجهول: "التلميذ يروي عن شيخه! هل يكذب التلميذ على شيخه؟ لن يصدّقك أحد إن قلت ذلك .. لأن أفضل من يروي عن الشيخ تلاميذه المُخلصين .. والآن مع عجائب ودقائق يرويها تلميذ عن شيخه، قد بلغ في مراتب الصلاح إلى هذا الحد! والآن مع ابن قيم الجوزية مع شيخه ابن تيمية صاحب الكرامات والمكاشفات". ثم ساق المخالف من كلام ابن القيم ما نصه: "وقلت له يوما: لو عاملتنا بذلك لكان أدعى إلى الاستقامة والصلاح، فقال: لا تصبرون معي على ذلك جمعة، أو قال شهرا، وأخبرني غير مرة بأمور باطنة تختص بي، مما عزمت عليه ولم ينطق به لساني، وأخبرني ببعض حوادث كبار تجري في المستقبل ولم يعين أوقاتها، وقد رأيت بعضها وأنا أنتظر بقيتها، وما شاهده كبار أصحابه من ذلك أضعاف أضعاف ما شاهدته والله أعلم".[١٧٠]

رد الشبهة:

ذكر ابن القيم هذا الكلام في سياق كلامه عن الفراسة من النوع الثالث، وهي الفراسة الخلقية، وذكر شيخه ابن تيمية وغيره، لوجود الصفات الخاصة بهذا النوع من الفراسة في شخصية ابن تيمية، ومما قاله في ذلك: "وهي التي صنف فيها الأطباء وغيرهم واستدلوا بالخَلْق على الخُلُق لما بينهما من الارتباط الذي اقتضته حكمة الله، كالاستدلال بصغر الرأس الخارج عن العادة على صغر العقل، وبكبره وبسعة الصدر وبعد ما بين جانبيه على سعة خُلق صاحبه، واحتماله وبسطته وبضيقه على ضيقه، وبخمود العين وكلال نظرها على بلادة صاحبها، وضعف حرارة قلبه وبشدة بياضها مع إشرابه بحمرة، وهو الشكل على شجاعته وإقدامه وفطنته، وبتدويرها مع حمرتها وكثرة تقلبها على خيانته ومكره وخداعه، ومعظم تعلق الفراسة بالعين فإنها مرآة القلب وعنوان ما فيه ثم باللسان فإنه رسوله وترجمانه....".[١٧١]

ثم قال: "وللفراسة سببان: أحدهما: جودة ذهن المتفرس وحدة قلبه وحسن فطنته. والثاني: ظهور العلامات والأدلة على المتفرس فيه. فإذا اجتمع السببان لم تكد تخطيء للعبد فراسة، وإذا انتفيا لم تكد تصح له فراسة، وإذا قوي أحدهما وضعف الآخر كانت فراسته بين بين، وكان إياس بن معاوية من أعظم الناس فراسة، وله

الوقائع المشهورة، وكذلك الشافعي رحمة الله، وقيل إن له فيها تآليف، ولقد شاهدت من فراسة شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ أمورا عجيبة، وما لم أشاهده منها أعظم وأعظم، ووقائع فراسته تستدعي سفرا ضخما...".[١٧٢]

قال مقيده عفا الله عنه: وهذا يدل على عدم فراسة المخالف، والانتقائية في الكلام التي تدل على التعالم.

الشبهة العشرون: منازعة القدر:

قال المخالف: "الإمام الصوفي المقدّس لدى ابن تيمية الشيخ عبد القادر الجيلاني يقول: الرجل من يكون منازعا للقدر ،لا من يكون موافقا للقدر. ثم يأتي تفسير الذوّاق لكلام الصوفية ابن تيمية".

ثم ساق من كلام ابن تيمية ما نصه: "وهذا مقام عظيم فيه غلط الغالطون، وكثر فيه الاشتباه على السالكين، حتى زلق فيه من أكابر الشيوخ المدعين التحقيق والتوحيد والعرفان، مالا يحصيهم إلا الله الذي يعلم السر والإعلان، وإلى هذا أشار الشيخ عبد القادر ﷺ فيما ذُكر عنه، فبين أن كثيرا من الرجال إذا وصلوا إلى القضاء والقدر أمسكوا، إلا أنا فإني انفتحت لى فيه روزنة، فنازعت أقدار الحق بالحق للحق، والرجل من يكون منازعا للقدر لا من يكون موافقا للقدر. والذي ذكره الشيخ ﷺ هو الذي امر الله به ورسوله، لكن كثير من الرجال غلطوا، فإنهم قد يشهدون ما يُقَدّر على أحدهم من المعاصى والذنوب، أو ما يُقَدّر على الناس من ذلك، بل من الكفر، ويشهدون أن هذا جار بمشيئة الله، وقضائه وقدره داخل في حكم ربوبيته ومقتضى مشيئته، فيظنون الاستسلام لذلك وموافقته والرضا به ونحو ذلك دينا وطريقا وعبادة، فيضاهون المشركين الذين قالوا: ﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ﴾ (الأنعام: ١٤٨)، وقالوا: ﴿لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ﴾ (الزخرف: ٢٠)".[١٧٣]

رد الشبهة:

وكعادة المخالف، يورد من كلام ابن تيمية ما يظنه تصوفا وليس كذلك، وينسى تعالما قراءة ما قبل وما بعد، ليتسنى له معرفة السبب الذي لأجله قال ابن تيمية ما قال وفهمه، فابن تيمية ذكر هذا الكلام عن عبد القادر الجيلاني في كتابه العبودية في سياق تحليله العلمي للعبادة والعَبْد، وذكر ما يتعلق بذلك من الكتاب والسنة، وأن العبادة هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه، من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة، ومثّل لهذه الأمور بأدلة من الكتاب والسنة، وأن هذه العبادة هي

التي المحبوبة والمرضية له سبحانه، ولأجلها خلق الخلق وأرسل الرسل، وأن من اصطفى سبحانه من عباده نعتهم بالعبودية، كقوله فيهم: "عباد الله، وعباد الرحمن، وعبادي"، ونحوه. ثم بين ﷺ أن العبادة أصلها الذل، وأن العبادة المأمور بها تتضمن معنى الذل والحب، وأن الله سبحانه يجب أن يكون أحب شيء للعبد من كل شيء، وأن يكون الله أعظم عنده من كل شيء، وأن لا يستحق المحبة والذل التام إلا هو سبحانه. ثم حرر ﷺ القول في العبد، وأن المراد به المُعَبّد الذي عبّده الله وذل له ودبّره وصرّفه، وأنه بهذا الاعتبار جميع المخلوقين برهم وفاجرهم مؤمنهم وكافرهم، عباد لله تحت مشيئته وقدرته، فهو خالقهم ورازقهم ومحييهم ومميتهم، عرفوا ذلك أو أنكروا علموا أو جهلوا. ثم بين ﷺ أن معرفة الحق سبحانه، إذا كانت مع الاستكبار والجحود كانت عذابا على صاحبها، وبين أن العبد قد يعترف أن الله ربه وخالقه وأنه مفتقر إليه ومحتاج، فهذا عرف العبودية المتعلقة بالربوبية، وأن مثل هذا العبد قد يتضرع لربه ويتوكل عليه، وهذا النوع من العبيد قد يطيع ويعصي ويشرك معه غيره، فهذا النوع لا يصير مؤمنا واستدل بقوله تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إلا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ (يوسف:١٠٦).

ثم تطرق للكلام على الحقيقة ومن يتكلم فيها ويشهدها، وبدأ بالكلام على "الحقيقة الكونية"، التي يشترك فيها المؤمن والكافر البر والفاجر، واعتراف إبليس بها، مستدلا لكل ما سبق من الكتاب والسنة، وبين أن من وقف عند هذه الحقيقة وشهودها، ولم يقم بما أمر الله به من "الحقيقة الدينية"، التي هي عبادته وتأليهه وطاعة أوامره وأوامر رسوله ﷺ، كان من جنس إبليس أهل النار، وإن ظن أنه من خواص أولياء الله، وأهل المعرفة والتحقيق الذين يسقط عنهم الأمر والنهي الشرعيان، كان من أشر أهل الكفر والإلحاد.

ثم بين ﷺ النوع الثاني من معنى "العبد" وهو بمعنى العابد لله، فلا يعبد سواه، ويطيع أوامره وأوامر نبيه ويوالي أولياه ويعادي أعداءه، ففرق بين "العبد المُعبّد" و"العبد العابد"، وبالفرق بينهما يُعرف الفرق بين "الحقيقة الدينية"، و"الحقيقة الكونية"، وأن من اكتفى بالأخيرة كان من أتباع إبليس والكافرين برب العالمين. وبعد هذا التحليل المقتضب لأكثر من عشر صفحات من كتاب العبودية، بدأ ابن تيمية كلامه الذي ساقه المخالف، وأن هذا الأمر مقامه عظيم، وأكثر المشايخ الذين خاضوا غلطوا فيه لاشتباه المسالك، فزلق فيه من زلق من كِبارهم، وأن الشيخ عبد القادر لم يمسك حين ذكر القدر، وذلك لما أكرمه الله تعالى من حقيقة الولاية وذلك لمعرفته

بالحقيقتين.

وهذا من الجيلاني ليس من التصوف في شيء، فقد وضح شيخ الإسلام أن هذا الموقف من الشيخ هو ما أمر الله به ورسوله ﷺ وأن كثيرا من الرجال غلطوا فيه، حيث يشهدون ما قدره الله من المعاصي والذنوب والكفر على الناس، وأنه جار بمشيئة الله وقضائه وقدره وداخل في حكم ربوبيته ومقتضى مشيئته، فيظنون أن الاستسلام لذلك وموافقته والرضا به دينا فضاهوا المشركين الذين قال فيهم: ﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلا آبَاؤُنَا وَلا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ﴾ (الأنعام:١٤٨)، وقوله: ﴿أَنُطْعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ﴾ (يس:٤٧).

ثم بَيّن ﷺ خطأ ذلك، إذ لو هدوا لعلموا أن القدر أمرنا أن نرضى به، ونصبر على موجبه في المصائب التي تصيبنا كالفقر والمرض ونحوه، واستدل بقوله تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إلا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾ (التغابن: ١١)، كما استدل بحديث محاججة آدم لموسى عليهما السلام في الصحيحين، وأن هذا ليس احتجاجا بالقدر على الذنب، بل إن آدم قد تاب من ذنبه الذي قدره الله فاجتباه ربه وهداه، لكنه لَوم لآدم لآجل المصيبة التي لحقتهم بالخطيئة. ثم بين أن ليس للعبد أن يذنب وإن أذنب فعليه بالاستغفار، وكذلك ذنوب العباد لا نرضى بها، بل يجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والجهاد في سبيله سبحانه كل بحسبه، ونظائر ذلك مما يفرق الله فيه بين أهل الحق والباطل كثيرة. وأطال النفس ﷺ كعادته في الاستدلال من الكتاب والسنة في بيان هذه المسألة الشائكة، والرد على أهل الضلال من أهل الأديان وبعض زنادقة الصوفية كابن عربي. وفي هذا كفاية للبيب.

الشبهة الحادية والعشرون: قراءة القرآن للميت:

قال المخالف: "إذا مات ابن آدم انقطع عمله ...حديث صحيح وفَهْم الصوفية يتحد مع فهم ابن تيمية. فيُجيب". ثم ساق ما نصه: "وسئل عن قراءة أهل الميت تصل إليه، والتسبيح والتحميد والتهليل والتكبير إذا أهداه إلى الميت يصل إليه ثوابها أم لا؟

فأجاب ﷺ: "يصل إلى الميت قراءة أهله وتسبيحهم وتكبيرهم وسائر ذكرهم لله تعالى إذا أهدوه إلى الميت وصل إليه والله أعلم".[١٧٤]

رد الشبهة:

هذه المسألة الفقهية كانت موجودة في تاريخ الفقه الإسلامي قبل ظهور بدعة التصوف في الأمة الإسلامية، والذين تكلموا فيها لم يذكروا أهل التصوف، وكون

الصوفية عملوا به فلا مزية لهم ولا يعني موافقة ابن تيمية لهم، فهذا ومثله مما سبق من أغلوطات المخالف. قال ابن تيمية: "ثواب العبادات البدنية من الصلاة والقراءة وغيرهما يصل إلى الميت، كما يصل إليه ثواب العبادات المالية بالإجماع، وهذا مذهب أبي حنيفة، وأحمد وغيرهما، وقول طائفة من أصحاب الشافعي ومالك، وهو الصواب لأدلة كثيرة".[١٧٥] فلم يذكر ابن تيمية التصوف وأهله، دليل على عدم الاعتداد والاعتناء بهم في الفقه الإسلامي.

الشبه الثانية والعشرون: الورد القيّومي:

قال المخالف: "هل ابتدع ابن تيمية في السنة النبوية ما ليس منها ؟ هل توفي رسول الله قبل أن يكمل الرسالة؟ هل ابن تيمية أعلم بأمر الأمة من رسول الله؟ يقينا الإجابة في الكل بلا. إذا لابد من تفسير بعض أوراد وأعمال ابن تيمية في يومه وليلته، وما هو المخرج لها: الورد القيومي لابن تيمية". ثم ذكر من كلام ابن القيم ما نصه: "وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ يقول: من واظب على: يا حي يا قيوم لا إله إلا أنت، كل يوم بين سنة الفجر، وصلاة الفجر أربعين مرة أحيى الله بها قلبه".[١٧٦]

رد الشبهة:

صح عن النبي ﷺ أن ذِكر (يا حي يا قيوم)، هو الاسم الأعظم[١٧٧]، ولذا تجد هذه العبارة من الذكر متضمنة لكثير من الأدعية النبوية، ولأجله حرص النبي ﷺ على قوله_إذا حزبه أمر أو كربه كما صح عنه[١٧٨]، وكان دعاؤه ﷺ إذا اجتهد فيه[١٧٩]، وهو من الأدعية الصباحية والمسائية التي أوصى ﷺ ابنته فاطمة رضي الله عنها بها[١٨٠]. كما صح عنه ﷺ أن الدعاء بين الآذان والإقامة لا يرد.[١٨١]

من ذلك تبين لنا أن ابن تيمية لم يبتدع وردا قيوميا خاصا به كما زعم المخالف، ولم يلقنه لمريد كما يفعل أصحاب الطرق الصوفية، وإنما هو متبع للسنة لكنه جانب الصواب في التحديد بالأربعين، وهو فيه مقلد للشيخ أبي عمر محمد بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي (ت ٦٠٧ هـ)، حيث ذكر عنه ابن مفلح أنه كان يقول بين سنة الفجر والفرض أربعين مرة: "يا حي يا قيوم لا إله إلا أنت".[١٨٢]

فهذا ما أردنا تبينه من أمور ساقها المخالف، ظنا منه –وبعض الظن إثم– أن شيخ الإسلام تأثر بالتصوف، وأنه متذوق له بقصد إحراج الإخوة المنتمين لمنهج السلف في بعض المواقع على الشبكة العنكبوتية، وإنما الأعمال بالنيات والحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات.

هدية للقاريء:

كتب الشاعر عبد الملك بن إدريس المعروف بالخريري لابنه قصيدة كتب من محبسه جاء فيها[١٨٣]:

واعلم بأن العلم أرفع رتبة ... وأجل مُكْتَسبٍ وأسنى مَفْخرِ
وبِضُمّر الأقلام يبلغ أهلها ... ما ليس يُبلغ بالجياد الضُّمرِ
والعلم ليس بنافع أربابه ... ما لم يفد عملا وحسن تَبصّرِ
فإذا دفعت إلى قرين فَابْلِه ... قبل التقارُضِ والتشارك واخْبُرِ
لا يستفزك منظر حسن بَدا ... حتى تقابله بحسن المخبر
كم من أخ يلقاك منه ظاهر ... بَادٍ سلامته وباطنه وَرِي
واشرح لكل مُلمة صدرا وخُذ ... بالحزم في كل الأمور وشَمّرِ
واستنصح البر التقي وشاور ... الفطن الذكي تكن رَبِيح المَتجر
وأخزن لسانك واحترس من نطقه ... وأحذر بوادر غيه ثم احذر
واصفح عن العوراء إن قيلت وعد ... بالحِلم منك على السفيه المعور
وكِلِ المُسيءَ إلى إساءته ... ولا تعقب الباغي ببغي تنصر
فكفاك من شر سماعك خُبْره ... وكفاك من خَبَرٍ قَبُول المُخْبِر
وإذا سُئلت فَجُد وإن قَلّ الجَدى ... جُهد المُقِّل إزاء جهد المكثر
واشكر لمن أَولاك بِرا إنه حق ... عليك ولا تكن بالممتري
ليس الحريص بزائد في حرصه ... بأتم حيلته هَشِيمة إذخر
أو ما رأيت غبي قوم موسرا ... ولبيبهم يشقى بحال المعسر
قد أَوْعَب التكّوين كل مكون ... مُذ أَحكم التقدير كل مقدر
فلو ابتغيت بكل جهد نيل ما ... سبق القضاء بمنعه لم تقدر

هوامش البحث:

---

[١] موقع"الساحة"، و"موقع الفرزدقي"، والأخير صوفي قُح.
[٢] أخرج ابن أبي خيثمة في التاريخ الكبير – السفر الثاني (١٦٢/١ ح٥٢٩).من حديث "الحارث بن أقيش" ﷺ. وله شاهد من حديث أبي سعيد الخدري أخرجه أحمد (٥٤٧/٣٦ ج٢٢٢١٥).
[٣] مجموع الفتاوى (٣٧٩/٤)
[٤] أخرجه البخاري في (الرقاق ج٦٥٠٢) من حديث أبي هريرة.
[٥] أخرجه البخاري (الجهاد والسير ج٢٨٩٦) من حديث سعد بن أبي وقاص
[٦] البخاري في (الصلح ج٢٧٠٣).
[٧] مسلم في (البر والصلة ج٢٦٢٢).
[٨] سنن الترمذي (ح ٣٨٥٤).
[٩] الترمذي (البر والصلة ج٢٠٣٢).

[١٠] الإصابة (٤٤٥/٤).
[١١] مجموع الفتاوى (٣٦٣/٤).
[١٢] المصدر السابق (٣٥٣/٤).
[١٣] منهاج السنة (٢٩١/٦).
[١٤] المصدر السابق (٢٩١/٦).
[١٥] مجموع الفتاوى (١٦٢/١).
[١٦] المصدر السابق (١٥٢/٢٧).
[١٧] المصدر السابق (١٧/١١).
[١٨] المصدر السابق.
[١٩] أخرجه مرفوعا عن ابن عباس ابن أبي الدنيا في التوكل على الله (ص: ٤٩ ج٩). وضعفه جدا الألباني في الضعيفة (١١٦/١٠ ج٤٦٠٢).
[٢٠] لم أقف عليه بلفظ: (يا عمر)، والذي ورد في قصة مرض أبي طالب عم النبي ﷺ بلفظ: (وأنت يا عماه لئن أطعت الله ليطيعنك) أخرجه الطبراني في الأوسط (٢٠٠/٤ ج٣٩٧٣). وابن عدي في الكامل (٣٩٦/٨). والحاكم (٧٢٧/١ ج١٩٩١). والبيهقي في دلائل النبوة (١٨٤/٦). وفيه الهيثم بن جماز قال الذهبي في ديوان الضعفاء (ص:٤٢٢ ت ٤٥٠٠): "تركه أحمد والنسائي".
[٢١] المصدر السابق (٥٤٩/١٠).
[٢٢] تاريخ ابن خلدون (٦٢٣/١).
[٢٣] (ص ١١٢).
[٢٤] مجموع الفتاوى (٤٥٣/١٠).
[٢٥] الجواب الصحيح (٣١٨/٢).
[٢٦] (١٦٤/٢).
[٢٧] مجموع الفتاوى (٣٢٣/٢٤).
[٢٨] أخرجه الترمذي (الدعوات ج٣٣٧٥)، وابن ماجة (الأدب ٣٧٩٣). وصححه الألباني.
[٢٩] مسلم (الذكر ج٢٦٧٦).
[٣٠] المسند (٣٢٣/٢).
[٣١] المسند (٧١/٣).
[٣٢] (١٢٠/١).
[٣٣] بتوفيق الله جل وعلا قمت بتأليف رسالة باسم "الاحتفال بالمولد النبوي تحت المجهر الشرعي" نشر مجلة البحوث الإسلامية بمصر عدد ٤٣ ربيع الأول ١٤٤١هـ. تطرقت فيها إلى ما يقال في المولد من الباطل والغلو والأحاديث الواهية والموضوعة التي اعتمدوا عليها.
[٣٤] (ص ٢٦٧).
[٣٥] اقتضاء الصراط المستقيم (ص٢٦٦).
[٣٦] المصدر السابق (ص٢٦٧).
[٣٧] المصدر السابق (ص٢٦٧).
[٣٨] صحيح مسلم (ح ١١٤٤).
[٣٩] صحيح البخاري (ح ١٩٨٥). صحيح مسلم (ح ١١٤٤).
[٤٠] اقتضاء الصراط المستقيم (ص٢٦٠).
[٤١] الروح (ص١٤٣).

[٤٢]) مجموع الفتاوى (٢٠/٢٠٧).
[٤٣]) الخطط المقريزية (٢/٤٣٦).
[٤٤]) المصدر السابق (٢/٤٤٠).
[٤٥]) المصدر السابق (٢/٣٢٩).
[٤٦]) المصدر السابق (٢/٢٦ – ٤٤١).
[٤٧]) اقتضاء الصراط المستقيم (ص٢٢٧).
[٤٨]) "عبد الله الحسيني المكي" مؤلف كتاب الاحتفال بالمولد النبوي أنظر (ص٤٥).
[٤٩]) حلية الأولياء (١/٣٠٥).
[٥٠]) نشرت ذلك جريدة الأهرام المصرية(عدد الجمعة١١ يونيو ١٩٩٩–صفحة ٩ قسم الاجتماعيات).
[٥١]) أنظر موالد مصر المحروسة (ص ٤٩).
[٥٢]) أنظر رسائل المجلس الأعلى للطرق الصوفية (ص ٣٧).
[٥٣]) المصدر السابق (٣/٣٣٩ – ٣٤٣).
[٥٤]) الإنسان الكامل (٢/٤٦).
[٥٥]) جواهر البحار (٣/٢٧٢ نقلا عن كتابه المواقف).
[٥٦]) المصدر السابق (٣/٣٣٧ – ٣٣٩).
[٥٧]) المصدر السابق (٤/١١٦).
[٥٨]) أنظر معجم اصطلاحات الصوفية (ص ١٠٢)، المعجم الصوفي للحفني (ص ٢٢٦).
[٥٩]) جواهر البحار (٣/٣٦٩).
[٦٠]) المصدر السابق (٣/٣٤١).
[٦١]) أنظر كتابه حجة الله على العالمين (ص ٥٤).
[٦٢]) المصدر السابق (ص ٥٣).
[٦٣]) جواهر البحار (٣/٣١٠).
[٦٤]) مجموع الفتاوى (١٠/٣٣٩).
[٦٥]) المصدر السابق (١٠/٣٣٨).
[٦٦]) المصدر السابق (١٠/٣٤٠).
[٦٧]) المصدر السابق (١٠/٣٤١).
[٦٨]) مجموع الفتاوى (١٠/١٥٣).
[٦٩]) مجموع الفتاوى (١٦/٢٧٢).
[٧٠]) درء التعارض (٨/٦٦).
[٧١]) مجموع الفتاوى (١٠/١٣٠).
[٧٢]) مجموع الفتاوى (١١/٣٩٤).
[٧٣]) أخرجه الطيالسي في مسنده (ص ١٠١)، وابن أبي شيبة في المصنف (٧/٨٠) كلاهما من طريق: "ليث عن عمرو بن مرة عن معاوية بن سويد بن مقرن عن البراء بن عازب..". حسنه الألباني في صحيح الجامع (٢٠٠٩).
[٧٤]) متفق عليه من حديث أنس ﷺ.
[٧٥]) مجموع الفتاوى (٢/٣٦٩).
[٧٦]) مجموع الفتاوى (٢/٣١٤).

[٧٧]) مجموع الفتاوى (٢/٣٧٠).
[٧٨]) مجموع الفتاوى (٢/٣١٣).
[٧٩]) مدارج السالكين (٢/٤٨٩).
[٨٠]) أخرجه الترمذي (التفسير ج٣١٢٧) من حديث أبي سعيد الخدري. وقال: "هذا حديث غريب إنما نعرفه من هذا الوجه".
[٨١]) أخرجه البخاري (الرقاق ج٦٥٠٢) من حديث أبي هريرة.
[٨٢]) أبجد العلوم (٢/٣٩٦).
[٨٣]) مجموع الفتاوى (٤/٩).
[٨٤]) تاريخ بغداد (١٤/٢٤٨).
[٨٥]) مجموع الفتاوى (٥/٥٢٥).
[٨٦]) البخاري (الجنائز ج١٣٢٨)، ومسلم (الجنة ج٢٨٧٠).
[٨٧]) البخاري (الجنائز ج١٣٦٩).
[٨٨]) التفاج: المبالغة في تفريج ما بين الرجلين، وهو من الفج الطريق. أنظر النهاية في غريب الحديث (٣/٤١٢).
[٨٩]) من عاش بعد الموت (ص ٣٢) حدثنا عبد الله قال حدثنا عبد الرحمن بن صالح العتكي قال حدثنا خالد بن حيان أبو يزيد الرقي عن كلثوم بن جوشن القشيري عن يحيى المدني به..).
[٩٠]) أخرجه اللالكائي في شرح اعتقاد أهل السنة (٦/١١٤١ رقم ٢١٤٩): "أنا محمد بن عبد الله القاسم، قال: نا إبراهيم بن عبدالرزاق بن الحسن، قال: نا محمد بن إبراهيم بن الصوري، قال: نا الفريابي، قال: نا السري ابن يحيى...".
[٩١]) التمهيد (٢٠/١٠).
[٩٢]) ميزان الاعتدال (٢/٣٣١) ، لسان الميزان (٣/٢٠٤).
[٩٣]) الجواب الصحيح (٢/٣٢٦).
[٩٤]) الجواب الصحيح (٣/٣٤٨).
[٩٥]) موسوعة الألباني في العقيدة (٩/٤٦٠).
[٩٦]) المجروحين (٢/١٥).
[٩٧]) ومن توفيق الله لكاتب هذه السطور أن نشر له بحث: "عقائد أقطاب التصوف ومشائخه، وغلوهم في الألوهية والنبوة والولاية"، في مجلة البحوث الإسلامية (عدد٤٦ في جماد الأولى ١٤٤١ى هـ)، التابعة للدكتور الفاضل عبد الفتاح إدريس.
[٩٨]) الذهبي ومنهجه في تاريخ الإسلام (ص ١٤٦).
[٩٩]) الدرر الكامنة (١/١٧٦).
[١٠٠]) السير (١٥/٨٨).
[١٠١]) الدرر الكامنة (١/١٥١).
[١٠٢]) المعجم المختص (ص ٢٥).
[١٠٣]) الدرر الكامنة (١/١٦٨).
[١٠٤]) المعجم المختص (ص ٢٥).
[١٠٥]) أخرجه الطيالسي (ح ١٤٩٤ ص ٢٠٩)، وعبد الرزاق في مصنفه (٣/٣٨٥ ج٦٠٤٢)، و ابن أبي شيبة في مصنفه (٣/٤٦ ج١١٩٨٩) من حديث عائشة رضي الله عنها.
[١٠٦]) أخرجه البخاري (الجنائز ج١٣٩٣) وغيره من حديثها أيضا.

[١٠٧]) السير (٥٩/١٨).
[١٠٨]) ويقال: أَسْفِيجَاب: "بالفتح ثم السكون، وكسر الفاء، وياء ساكنة، وجيم، وألف، وباء موحدة: اسم بلدة كبيرة من أعيان بلاد ما وراء النهر في حدود تركستان". معجم البلدان (١٧٩/١).
[١٠٩]) السير (٥١٨/١٠).
[١١٠]) معجم الشيوخ (٥٦/١).
[١١١]) المعجم المختص (ص ٢٥).
[١١٢]) الدرر الكامنة (١٧٧/١).
[١١٣]) الدرر الكامنة (١٧٥/١).
[١١٤]) المعجم المختص (ص ٢٥ ترجمة ٢٢).
[١١٥]) السير (١٧٨/٢٢).
[١١٦]) ميزان الاعتدال (٥١٨/٤).
[١١٧]) السير (٣٦٨/٢٢).
[١١٨]) السير (٢٥٢/١٧).
[١١٩]) السير (٦٠٤/١٠).
[١٢٠]) السير (٣٢٧/١٩).
[١٢١]) السير (١٩ص٣٣٤).
[١٢٢]) الدرر الكامنة (١٧٦/١).
[١٢٣]) الدرر الكامنة (١٨٦/١).
[١٢٤]) طبقات الشافعية الكبرى (٤٠٠/١٠).
[١٢٥]) الدرر الكامنة (١٨٦/١).
[١٢٦]) زغل العلم (ص٣٩).
[١٢٧]) مجموع الفتاوى (٢٥٧/١).
[١٢٨]) مجموع الفتاوى (٤٩/١٨).
[١٢٩]) منهاج السنة النبوية (٤٢٢/٧).
[١٣٠]) مجموع الفتاوى (٢٥٦/١).
[١٣١]) مجموع الفتاوى (١٩/١٨).
[١٣٢]) مجموع الفتاوى (٢٥٦/١).
[١٣٣]) زغل العلم (ص ٤٣).
[١٣٤]) اقتضاء الصراط (ص ٣٢٦).
[١٣٥]) الصحيح (الجنائز ج٩١٦).
[١٣٦]) مجموع الفتاوى (٢٩٦/٢٤).
[١٣٧]) سبل السلام (١١٣/٢).
[١٣٨]) مدارج السالكين (٥٢٤/١).
[١٣٩]) كشف الظنون (١١١٤/٢).
[١٤٠]) أنظر مجموع الفتاوى (١٣/١٩)، والجواب الصحيح (١٤/٦)، وآكام المرجان (ص ١٥٠).
[١٤١]) أبجد العلوم (٣٢٥/٢).
[١٤٢]) أبجد العلوم (٣٢٧/٢).
[١٤٣]) البداية والنهاية (٣٣١/١٠).

[١٤٤] البداية والنهاية (١٣٥/١٤).
[١٤٥] المصدر السابق (١٣٦/١٤).
[١٤٦] المصدر السابق (١٣٩/١٤).
[١٤٧] المصدر السابق (١٣٩/١٤).
[١٤٨] البداية والنهاية (٣٢٤/٦).
[١٤٩] صححه الألباني في صحيح الجامع (ح ٨٢).
[١٥٠] لسان العرب (٣٩٥/١٠).
[١٥١] تاريخ دمشق (٣١٢/٥).
[١٥٢] طبقات الشافعية الكبرى (٣٥/٢).
[١٥٣] لسان الميزان (١٤٠/٥).
[١٥٤] لسان الميزان (٢٣٠/٥).
[١٥٥] أخرجه البخاري (الجنائز ج١٢٤٢).
[١٥٦] الحاوي للفتاوي (٢٥٩/٢ رسالة تنوير الحلك).
[١٥٧] أنظر مجموع الفتاوى (٣٢٤/٢٤)، اقتضاء الصراط (ص ٣٧٨).
[١٥٨] (٢٨١/٢).
[١٥٩] ميزان الاعتدال (٣٢٧/٢).
[١٦٠] المغني في الضعفاء (٢٩٢/١).
[١٦١] لسان الميزان (١٤٥/٣).
[١٦٢] البداية والنهاية (٢٧٤/١٠).
[١٦٣] المصدر السابق (٣٠٧/١٢).
[١٦٤] مجموع الفتاوى (٩٧/١١).
[١٦٥] مجموع الفتاوى (٩٦/١١).
[١٦٦] مجموع الفتاوى (٩٨/١١).
[١٦٧] وأنظر ما ذكرناه عنه في رسالتنا: (عقائد أقطاب التصوف– القسم الثاني: غلو أقطاب التصوف ومشائخه في النبي ﷺ ص١٣٧)، نشر مجلة البحوث الإسلامية بمصر عدد ٤٦ جماد الأولى ١٤٤١ هـ.
[١٦٨] التصوف الإسلامي (٢٧٤/١).
[١٦٩] المصدر السابق (٢٧٩/١).
[١٧٠] مدارج السالكين (٣/١).
[١٧١] مدارج السالكين (٤٨٩/٢).
[١٧٢] المصدر السابق.
[١٧٣] مجموع الفتاوى (١٥٨/١٠).
[١٧٤] مجموع الفتاوى (٣٢٤/٢٤).
[١٧٥] اقتضاء الصراط المستقيم (ص ٣٧٨).
[١٧٦] مدارج السالكين (٢٦٤/٣).
[١٧٧] أخرجه أبو داود (الصلاة ج١٤٩٥)، والنسائي (السهو ج١٣٠٠).
[١٧٨] أخرجه الترمذي (الدعوات ج٣٥٢٤).
[١٧٩] أخرجه الترمذي (الدعاء ج٣٤٣٦) بسند فيه ضعف.

[١٨٠]) أخرجه النسائي في الكبرى (١٤٧/٦ ح١٠٤٠٥)، وصححه الألباني في الصحيحة (٤٤٩/١).
[١٨١]) أخرجه الترمذي (الصلاة ج٢١٢)، وأبو داود (الصلاة ج٥٢١). وصححه الألباني.
[١٨٢]) المقصد الأرشد (٣٤٨/٢).
[١٨٣]) يتيمة الدهر (١١٧/٢).

فهرس المصادر:

١.أبجد العلوم، أبو الطيب محمد صديق خان القِنَّوجي، دار ابن حزم، ط١، ١٤٢٣ هـ- ٢٠٠٢ م.
٢.أبواب الفرج، د. علوي المالكي،
٣.الاحتفال بالمولد النبوي بين المؤيدين والمعارضين،عبد الله الحسيني، ط١، ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م.
٤.إصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر العسقلاني، ت: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥ هـ.
٥.اقتضاء الصراط المستقيم، لابن تيمية، ت: ناصر عبد الكريم العقل، دار عالم الكتب، بيروت، ط٧، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م.
٦.آكام المرجان في أحكام الجان، لمحمد بن عبد الله الشبلي، ت: إبراهيم محمد الجمل، مكتبة القرآن – مصر.
٧.الإنسان الكامل، عبد الكريم الجيلي، مطبعة مصطفى الحلبي- القاهرة، ط٤، ١٤٠٢- ١٩٨١.
٨.البداية والنهاية، لا بن كثير، دار الفكر، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦ م.
٩.التاريخ الكبير- السفر الثاني، لابن أبي خيثمة، ت: صلاح بن فتحي هلال، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر – القاهرة، ط١، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م.
١٠.تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي، ت: د. بشار عواد، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢ م.
١١.تاريخ دمشق، لابن عساكر، ت: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.
١٢.التَّصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق، د. زكي مبارك، مؤسسة الرسالة، القاهرة، ط١، ١٣٥٧ هـ - ١٩٣٨ م.
١٣.التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد،لابن عبد البر القرطبي ت: مصطفى بن أحمد العلوي ، محمد عبد الكبير البكري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية- المغرب، ١٣٨٧..
١٤.التوكل على الله، لابن أبي الدنيا، ت: مصطفى عبد القادر عطا، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط١، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م.
١٥.جريدة الأهرام المصرية، عدد الجمعة ١١ يونيو ١٩٩٩ – صفحة ٩ قسم الإجتماعيات.
١٦.الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، لابن تيمية، ت: علي بن حسن - عبد العزيز بن إبراهيم - حمدان بن محمد، دار العاصمة، السعودية، ط٢، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.
١٧.جواهر البحار في فضائل النبي المختار،يوسف النبهاني،دار الفكر، ط١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
١٨.الحاوي للفتاوي- رسالة تنوير الحلك،السيوطي، دار الكتب العلمية-بيروت،١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.
١٩.حجة الله على العالمين في معجزات سيد المرسلين، يوسف النبهاني، دار الفكر.
٢٠.حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم الأصبهاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٩ هـ.
٢١.درء تعارض العقل والنقل، لابن تيمية، ت: الدكتور محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، السعودية، ط٢، ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م

٢٢.الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، لابن حجر العسقلاني، ت: محمد عبد المعيد ضان، مجلس دائرة المعارف العثمانية – حيدر آباد– الهند، ط٢، ١٣٩٢هـ – ١٩٧٢ م.
٢٣.دلائل النبوة، للبيهقي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٥ هـ.
٢٤.ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، لابن خلدون ت: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، ط٢، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م.
٢٥.الذهبي ومنهجه في تاريخ الإسلام د. بشار عواد، عيسى الحلبي، القاهرة، ط١، ١٩٧٦م.
٢٦.رسائل المجلس الأعلى للطرق الصوفية،أبو الوفاء التفتازاني،مطبعة الأمانة،١٤١٢هـ– ١٩٩١م.
٢٧.الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة، لابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية – بيروت. ١٣٩٥ هـ – ١٩٧٥ م.
٢٨.زغل العلم، الذهبي، ت: محمد بن ناصر العجمي، مكتبة الصحوة الإسلامية.
٢٩.سبل السلام، الأمير الصنعاني، دار الحديث.
٣٠.سلسلة الأحاديث الصحيحة، للألباني، مكتبة المعارف، الرياض، ط١، ١٤١٥ . – ١٩٩٥ م.
٣١.سلسلة الأحاديث الضعيفة، للألباني، دار المعارف، الرياض، ط١، ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢ م.
٣٢.سنن ابن ماجة، ت:محمد فؤاد عبد الباقي،دار إحياء الكتب العربية، فيصل عيسى الحلبي.
٣٣.سنن أبي داود، ت: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت.
٣٤.سنن الترمذي، ت: أحمد محمد شاكر ومجموعة، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط٢، ١٣٩٥ هـ – ١٩٧٥ م.
٣٥.سنن النسائي،:عبد الفتاح أبو غدة،مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب،ط٢،١٤٠٦هـ– ١٩٨٦.
٣٦.السنن الكبرى، النسائي، ت: حسن عبد المنعم شلبي، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط١، ١٤٢١. – ٢٠٠١ م.
٣٧.سير أعلام النبلاء، للذهبي، ت: مجموعة، مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٥ م.
٣٨.الشبكة العنكبوتية، موقع"الساحة" و"موقع الفرزدقي" والأخير صوفي قُح
٣٩.شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، أبو القاسم اللالكائي، ت: أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي، دار طيبة – السعودية، ط٨، ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٣ م.
٤٠.صحيح البخاري، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، ط١، ١٤٢٢ هـ.
٤١.صحيح الجامع، الألباني الناشر: المكتب الإسلامي.
٤٢.صحيح مسلم، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٤٣.طبقات الشافعية الكبرى، عبد الوهاب السبكي، ت: د. محمود محمد الطناحي، د. عبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢، ١٤١٣هـ.
٤٤.عقائد أقطاب التصوف، د. عبد الغفار بن محمد حميده، نشر مجلة البحوث الإسلامية عدد ٤٦ جماد الأولى ١٤٤١ هـ.
٤٥.الكامل في ضعفاء الرجال،لابن عدي،ت:مجموعة،الكتب العلمية،بيروت،ط١٤١٨،١هـ–١٩٩٧م
٤٦.كشف الظنون، للحاج خليفة، ت: مكتبة المثنى، بغداد، ١٩٤١ م.
٤٧.لسان العرب، لا ابن منظور، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤ هـ.
٤٨.لسان الميزان،لا بن حجر العسقلاني،ت: دائرة المعرف النظامية،الهند، ط١٣٩٠،٢– ١٩٧١.
٤٩.مجموع الفتاوى، لابن تيمية، ت: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، ١٤١٦ هـ – ١٩٩٥ م.

٥٠.مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لابن قيم الجوزية، ت: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي – بيروت، ط٣، ١٤١٦ هـ – ١٩٩٦م.
٥١.المستدرك، للحاكم،ت:مصطفى عبد القادر عطا،دار الكتب العلمية، بيروت،ط١٤١١،١هـ– ١٩٩٠م.
٥٢.مسند أحمد، ت:شعيب الأرنؤوط–عادل مرشد،وآخرون،مؤسسة الرسالة،ط١٤٢١،١هـ– ٢٠٠١م
٥٣.مسند أبي داود الطيالسي،ت: د. محمد بن عبد المحسن التركي،دار هجر– مصر،ط١، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٩ م.
٥٤.مصنف ابن أبي شيبة، ت: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤٠٩ هـ.
٥٥.معجم اصطلاحات الصوفية، محيي الدين ابن عربي، ت: سعيد هارون عاشور، مكتبة الآداب – القاهرة، ط١، ١٤٢٥ هـ، – ٢٠٠٤ م.
٥٦.المعجم الأوسط، الطبراني، ت: طارق بن عوض الله بن محمد وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين، القاهرة.
٥٧.المعجم الكبير، للطبراني، ت: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط٢.
٥٨.معجم البلدان، ياقوت الحموي، دار صادر، بيروت، ط٢، ١٩٩٥ م.
٥٩.المعجم الصوفي، د. عبد المنعم الحفني، دار الرشاد – القاهرة، ط١، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م.
٦٠.المعجم المختص بالمحدثين، للذهبي، ت: د. محمد الحبيب الهيلة، مكتبة الصديق – الطائف، ط١، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م.
٦١.المغني في الضعفاء، الذهبي، ت: الدكتور نور الدين عتر.
٦٢.المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد، ابن مفلح، ت: د عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، مكتبة الرشد – الرياض، ط١، ١٤١٠ هـ – ١٩٩٠ م.
٦٣.من عاش بعد الموت، لابن أبي الدنيا، ت: محمد حسام بيضون، مؤسسة الكتب الثقافية – بيروت، ط١، ١٤١٣ هـ.
٦٤.منهاج السنة في نقض كلام الشيعة القدرية، لابن تيمية، ت: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط١، ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦ م.
٦٥.المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، تقي الدين المقريزي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٨ هـ.
٦٦.الموالد في مصر، ج.و .مكفرسون،ترجمة:عبدالوهاب بكر،الهيئة المصرية العامة للكتاب،١٩٩٨.
٦٧.موالد مصر المحروسة، عرفة عبده علي، عين الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، ط١، ١٩٩٥ م.
٦٨.موسوعة الألباني في العقيدة، عمل: شادي بن محمد بن سالم آل نعمان، مركز النعمان للبحوث والدراسات الإسلامية وتحقيق التراث والترجمة، صنعاء – اليمن، ط١، ١٤٣١ هـ – ٢٠١٠ م.
٦٩.ميزان الاعتدال في نقد الرجال، الذهبي، ت: علي محمد البجاوي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، ط١، ١٣٨٢ هـ – ١٩٦٣ م.
٧٠.النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، ت: طاهر أحمد الزاوى ومحمود محمد الطناحي، الناشر: المكتبة العلمية – بيروت، ١٣٩٩ هـ – ١٩٧٩ م.
٧١.يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، أبو منصور الثعالبي، ت: د. مفيد محمد قمحية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٣ هـ– ١٩٨٣ م.